# التذييل في سورة الحجرات
# ومناسبته للسياق


إعداد الدكتورة

**أماني محمد سليمان دياب**

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقرين

جامعة الازهر

# التذييل في سورة الحجرات ومناسبته للسياق

**اسم الباحث: أماني محمد سليمان دياب.**
**قسم: التفسير وعلوم القرآن، كلية: الدراسات الإسلامية، الجامعة: الأزهر، المدينة: القرين الدولة: مصر.**
**البريد الإلكتروني:amanydiab. 2075@azhar. edu. eg**

**ملخص البحث:**

ملخص البحث: يهدف هذا البحث إلي دراسة أسلوب من الأساليب البلاغية التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وهو (التذييل)والذي يعد وجها من وجوه الإعجاز القرآني بما يحويه من نكات بلاغية، وهو عبارة عن جملة ختامية تأتي في نهاية الآية لتؤكد معناها، أو تبين سببه، أو تربط بينه وبين ما قبله أو بعده، وغالبا مايأتي التذييل بأسماء الله الحسني وصفاته، مما يمنح النص قوة دلالية وإيمانية عميقة، وقد كان للتذييل في سورة الحجرات دور محوري في ترسيخ المقاصد التربوية والعقدية التي تحملها السورة،وتطبيقه على سورة الحجرات، إذ جاء ليؤكد الأحكام، ويقرر القيم، ويجمع بين الإيجاز والبيان، مما يعكس التماسك الموضوعي والانسجام بين أجزاء السورة، فكل تذييل جاء في موضعه المناسب ليزيد المعني وضوحا وقوة، ويجعل السورة وحدة متكاملة في بناء المجتمع الإسلامي، التذييل ليس مجرد إضافة لفظية، بل هو لبنة أساسية في بناء السورة، يخدم المعني العقدي والأخلاقي والتربوي، ويؤكد علي مركزية التقوي، وعلم الله المحيط، وأخوة الإيمان في إقامة المجتمع الإسلامي، التذييل في سورة الحجرات جاء أداة بلاغية لتثبيت المعاني الكبري للسورة، التقوي،

الطاعة، الأخوة، العدل، مراقبة الله، وقد ارتبط كل تذييل بالسياق الذي قبله ارتباطا وثيقا، ليجمع بين قوة الحجة وجمال الأسلوب وليجعل السورة ميثاقا أخلاقيا متكاملا للمجتمع المسلم، سورة الحجرات تحث علي توقير الله ورسوله، وعلى الأخوة والمودة بين المسلمين، وتحذر من سوء الظن بالآخرين، وتحذر من الغيبة والنميمة، سورة الحجرات تحمل العديد من الدروس والتعليمات المهمة للمسلمين، وتسجل العديد من القيم والمبادئ التي يجب على المسلمين الالتزام بها.

**الكلمات المفتاحية:** (التذييل- سورة – الحجرات – السياق – التفسير – لطائف).

# The Concluding Phrases in Surat Al-Hujurat (Tazyeel) and Its Relevance to the Context

**Amani Muhammad Suleiman Diab**

**Department: Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Islamic Studies, University: Al-Azhar, City: Al-Qurain, Country: Egypt**

**Email: amanydiab. 2075@azhar. edu. eg**

**Abstract:**

This research aims to study one of the rhetorical techniques included in the Holy Quran, namely (*Tazyeel*) the concluding phrases. This technique is considered an aspect of the Quranic inimitability, due to its rhetorical imprints. It is a concluding sentence that comes at the end of a verse to confirm its meaning, clarify its reason, or connect it to what precedes or follows it. *Tazyeel* often contains the beautiful (*Husna*) names and attributes of Allah, giving the text a profound semantic and faith-based force. *Tazyeel* in Surat Al-Hujurat played a pivotal role in consolidating the educational and doctrinal objectives of the Surah, and its application to Surat Al-Hujurat is to confirm rulings, establish values, and combine brevity with clarity, reflecting thematic coherence and harmony between the parts of the surah. Each *Tazyeel* appears in its appropriate place to enhance the meaning and strength, making the surah a complete unit in the construction of Islamic society. *Tazyeel* is not merely an addition. Verbally, it is a fundamental building block in the construction of the Surah, serving the doctrinal, moral, and educational meanings, and emphasizing the centrality of piety, and Allah's comprehensive knowledge. The conclusion in Surat Al-Hujurat is a rhetorical tool to establish the greater meanings of

the Surah: piety, obedience, brotherhood, and observance of Allah's orders and prohibitions. Each conclusion is closely linked to the context that precedes it, combining the strength of argument with the beauty of style. Surat Al-Hujurat urges respect for Allah and His Messenger, brotherhood and affection among Muslims. It warns against suspicion of others, backbiting, and gossip. Surat Al-Hujurat records many values and principles that Muslims must adhere to.

**Keywords**: *Tazyeel* – Surat Al-Hujurat - Context - Interpretation - Subtleties

## المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على الرسولِ الأمين، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين، وبعد. . .

فلقد نزل القرآن الكريم بأعظم وأفصح لسان، وهو اللسان العربي، ولقد بلغ الغاية في كل الوجوه المتعلقة بلغته، سواء في أسلوبه ونظمه، أو ترتيبه واتساقه وانسجامه بين ألفاظه وآياته، والتذييل من أهم هذه الوجوه في القرآن الكريم، يعد التذييل أحد الأساليب البلاغية المهمة في اللغة العربية، لما له من دوربارز في تقوية المعني وتأكيده، وإضفاء الجمال اللفظي والمعنوي على الكلام. كما أنه يعين على استنباط الأحكام، وبه تتجلي لطائف الصلات، ودقائق المناسبات، ومن هنا فقد عقدت العزم على تناوله وإبرازه وتبيين قيمته، والوقوف على أسراره من خلال سورة الحجرات.

### أهمية الموضوع:

التذييل في القرآن الكريم له أهمية عظيمة في توكيد المعاني، وترسيخها في نفس المتلقي، وهو أسلوب بلاغي يقصد به ختم الآية أو مجموعة من الآيات بجملة تحمل حكمة، أو تأكيدا، أو توضيحا، أو وعيدا، أو وعدا، أو صفة من صفات الله وهو من الأساليب البلاغية المهمة التي تزيد المعنى جمالا وعمقا. . وتتجلي أهميته في النقاط التالية:

١-توكيد المعنى وترسيخه في الذهن: التذييل غالبا ما يكون وسيلة لتقوية المعنى الوارد في الآية وتثبيته، مثل قوله تعالى: {وَاللهُ بِكُلِّ عَلِيمٌ} (البقرة:٢٨٢) بعد ذكر تفاصيل دقيقة عن الدين، جاء التذييل لتأكيد إحاطة الله بكل شئ.

٢-إظهار صفات الله الحسني المناسبة للسياق :فالتذييل غالبا ما يتضمن ذكرا لاسم من أسماء الله الحسني، بما يناسب مضمون الآية، مثل قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} (الفجر:١٤). للدلالة على أن الله يراقب

الظالمين ولن يفلتوا من عقابه. ومثل قوله تعالي: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (الحجرات:١٣) أي أن الله سبحانه يعلم ما في القلوب، ويعلم التقوي، لا ما يظهره الناس من مظاهر، ومطلع على خفايا الأمور، وبواطن النفوس، وأعمال العباد.

٣-تعليم الأدب والفقه: مثل قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} (النساء:١). بعد الأمر بالتقوي وصلة الأرحام، ليغرس في القلوب الرقابة الإلهية.

التذييل في القرآن ليس مجرد خاتمة للآية، بل هو عنصرأساسي في بنا ئها البلاغي والتربوي والعقائدي، يسهم في إيصال الرسالة الإلهية بقوة ووضوح، ويعكس روعة الإعجاز القرآني.

**أسباب اختيار الموضوع:**

١-إن هذا الموضوع متصل بأشرف موضوع، وإنما شرف العلم بشرف معلومه.

٢-الإسهام في الكشف عن الإعجاز القرآني، واستنباط أحكامه وحكمه.

٣-أن دراسةأسلوب التذييل في القرآن الكريم يبرز جانبا من جوانب إعجازه البلاغي.

لهذه الأسباب قمت بتطبيق هذه الدراسة على سورة الحجرات لكثرة ورود التذييل في آياتها، وتدبر سورة الحجرات والوقوف على مقاصدها ومعانيها ولطائفها.

**أهداف البحث:**

الهدف من التذييل في سورة الحجرات يتمثل في تعميق المعاني، وتأكيد المقاصد، وربط التوجيهات السلوكية بالعقيدة والرقابة الإلهية، ومن أبرز أهداف التذييل في سورة الحجرات:

١- التأكيد علي المبدأ أو الحكم :مثل قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (الحجرات: ١) جاء التذييل لتأكيد أن الله يسمع أقوال الناس ويعلم نياتهم، فيربط السلوك بمراقبة الله. .

٢- التحذير والتنبيه: كقوله تعالى: {وَاتَّقُواللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} (الحجرات:١٠) بعد أمر بالتقوي، جاء التذييل ليبعث الأمل بالتوبة، ويدعو إلى التصالح والإصلاح.

٣- بيان عظمة الله وصفاته: كقوله {إِنَّ اللَّه عَلِيمٌ خَبِيرٌ} لتأكيد أن الله يعلم ما في النفوس، فيدفع المسلم إلي الإخلاص والتأدب في القول والفعل.

٤- ربط السلوك بالجزاء الأخروي: مثل: {فَضْلاً مّنَ اللَّه وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (الحجرات: ٨) ربط الهداية ونعمة الإيمان بفضل الله وعلمه وحكمته.

٥- تحقيق الاتساق بين العقيدة والسلوك: سورة الحجرات مليئة بالتوجيهات الاجتماعية (مثل عدم السخرية، الظن، التجسس، الغيبة) والتذييل يربطها دوما بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته، مما يعمق أثرها في النفس. التذييل في سورة الحجرات يعزز البعد الإيماني في السلوك الاجتماعي، ويؤكد أن كل قول وفعل يجب أن يراقب فيه الله، مما يحقق تهذيب النفس وبناء مجتمع إسلامي متماسك.

**تساؤلات البحث:**

١-ما سرتنوع صفات الله في تذييلات آيات السورة؟

٢-ماالتذييل لغة واصطلاحا ؟

٣- ما حدود الأدب مع الله ورسوله؟وما معني "لا تقدموا"؟

٤- ماالفرق بين الإسلام والإيمان؟

**الدراسات السابقة:**

**بعد البحث لم أجد دراسة –حسب ما وقفت عليه عنيت بتناول هذا الأسلوب وتطبيقه على سورة الحجرات، وإنما وجدت الدراسات التالية:**

١- التذييل في القرآن الكريم دراسة بلاغية سورة البقرة نموذجا المقدمة من الباحثة: فاطمة الزهراء معزوز لنيل درجة الماجستير في الأدب دراسة حديثية ظهرت عام ٢٠١٣م.

٢- أسرار التذييل في محكم التنزيل دراسة تفسيرية تطبيقية "سورة التغابن" المقدمة من الباحثة: د/مني مرسي إبراهيم المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن في كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات بالسادات جامعة الأزهرنشرفي المجلة العلمية، العدد ١٢ ديسمبر ٢٠٢٣م.

٣- التذييل في القرآن، دلالته، وأثره (سورة النور نموذجا) المقدمة من الباحث جمال محمد هاجرقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية والعلوم برداع نشر في مجلة جامعة البيضاء المجلد الخامس العدد الخامس ديسمبر ٢٠٢٣م.

٤- التذييل وقيمته التفسيرية في سورة الشوري بحث نشر في مجلة كلية دار العلوم–جامعة القاهرة، سبتمبر ٢٠١٩م، د محمد سعيد مصطفي الغزال المدرس بجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا.

**منهجي في البحث:**

فقد سلكت في هذا البحث المنهج التحليلي، والمنهج الاستنباطي، والمنهج الاستقرائى.

**ويمكن تحديد خطوات المنهج المتبع فيه وفق الآتي:**

- بدأت دراسة كل موضع بكتابة الآية الكريمة المشتملة على التذييل .

- عزوت الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم.
- خرجت الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها.
- وثقت النصوص بعزوها إلى مصادرها.
- بينت المعني الإجمالي للآية الكريمة مع ذكر المناسبة إن وجد.

والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم وأن يتقبله منا ويتجاوز عن خطانا وتقصيرنا. وأسأله تعالي أن ينفع به كاتبه وقارئه إنه سميع قريب. وصلي الله وسلم وبارك علي عبده ورسوله محمد وعلى آلة وصحبه والتابعين.

**خطة البحث:**

قد رأيت أن طبيعة هذا البحث يتكون من مقدمة، وفصلين، وخاتمة، والفهارس.

**أولا المقدمة:** وتشتمل على توصيف لموضوع البحث، وأهميته، وأسباب اختيار الموضوع، وأهدافه، وتساؤلات البحث، والدراسات السابقة.

**ثانيا: الفصل الأول:** مفهوم التذييل وأهمية دراسته في القرآن الكريم.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التذييل لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: أقسامه وأغراضه.

المبحث الثالث:الفرق بين التذييل والفاصلة.

المبحث الرابع:: من مظاهر اعتناء المفسرين بالتذييل في كتب التفسير.

**ثالثا: الفصل الثاني:** التذييل في سورة الحجرات.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: بين يدي سورة الحجرات.

ويشتمل على مطالب:

المطلب الأول: تسميتها

المطلب الثاني: عدد آياتها وكلماتها وحروفها.

المطلب الثالث: نزول السورة الكريمة.

المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها.

المطلب الخامس: مقاصدها وفضائلها.

المبحث الثاني: لطائف التذييل في السورة الكريمة.

# الفصل الأول

# مفهوم التذييل وأهمية دراسته في القرآن الكريم

## المبحث الأول

## تعريف التذييل لغة واصطلاحا

**التذييل لغة:** "الذيل: آخر كل شيء. وذيل الثوب والإزار: ما جر منه إذا أسبل. والذيل: ذيل الإزار من الرداء، وهو ما أسبل منه فأصاب الأرض. وذيل المرأة لكل ثوب تلبسه إذا جرته على الأرض من خلفها. والذيال من الخيل: المتبختر في مشيه واستنانه كأنه يسحب ذيل ذنبه. وذال الرجل يذيل ذيلا: تبختر فجر ذيله ويقال: ذالت الجارية في مشيها تذيل ذيلا إذا ماست وجرت أذيالها على الأرض وتبخترت. وذالت الناقة بذنبها إذا نشرته على فخذيها، وذيل المرأة ما وقع على الأرض من ثوبها من نواحيها كلها، وتذيلت الدابة: حركت ذنبها من ذلك. والتذيل: التبختر منه. ودرع ذائلة وذائل ومذالة: طويلة. والذائل: الدرع الطويلة الذيل"(١). "الذَّيْلُ: آخِرُ كُلِّ شيءٍ، و– مِنَ الإِزارِ والثَّوْبِ: ما جُرَّ، و– من الريحِ: ما تَتْرُكُهُ في الرَّمْلِ كأَثَرِ ذَيْلٍ مَجْرورٍ، وذالَ: صارَ له ذَيْلٌ، كأَذْيَلَ و– بذَنَبِه: شالَ، و– فلانٌ: تَبَخْتَرَ فَجَرَّ ذَيْلَهُ". (٢) (ذَيَلَ) الذَّالُ وَالْيَاءُ وَاللَّامُ

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطارالناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م (١٧٠٢/٤). و لسان العرب مادة (ذيل) لمحمد بن مكرم بن على، لأبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ(٢٦٠/١١-٢٦١).

(٢) القاموس المحيط (فصل الراء) لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد=

أُصَيْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ مُنْقَاسٌ، وَهُوَ شَيْءٌ يَسْقُلُ فِي إِطَافَةٍ. مِنْ ذَلِكَ الذَّيْلُ ذَيْلُ الْقَمِيصِ وَغَيْرِهِ. وَذَيْلُ الرِّيحِ: مَا انْسَحَبَ مِنْهَا عَلَى الْأَرْضِ. وَفَرَسٌ ذَيَّالٌ: طَوِيلُ الذَّنَبِ وَذَالَتِ الْمَرْأَةُ: جَرَّتْ أَذْيَالَهَا[١].

مما سبق يتبين أن مادة "ذيل" تدور حول عدة معانٍ منها: نهاية الشئ وأخره، التبختر، الطول، الانتشار والسعة.

**التذييل اصطلاحا:** تعريف التذييل عند علماء البلاغة: "التذييل: هو أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام، وتلك الجملة على قسمين: قسم لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق. وقسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله. "[٢].

جاء في نهاية الأرب: "التذييل هو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكّد عند من فهمه"[٣].

---

=نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م(١/١٠٠٢).

(١) معجم مقاييس اللغةلأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكرعام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. (٣٦٦/٢).

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ)تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي(٣٨٧/١).

٣) نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة(١٤٠/٧).

**تعريف التذييل عند علماء التفسير:**

عرفه الباقلاني" وباب آخر من البديع يسمى: التذييل وهو ضرب من التأكيد"(١).

وعرفه الزركشي فقال التذييل هو: "أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم ويكمل عند من فهمه. كقوله تعالى: {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّاالْكَفُورَ} (سبأ: ١٧)، أي هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور فإن جعلنا الجزاء عاما كان الثاني مفيدا فائدة زائدة"(٢). وعرفه السيوطي فقال التذييل هو : " أن يؤتى بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على المعنى الأول لتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه"(٣).

**مما سبق يتبين** أن كل هذه التعريفات جميعها متفقة علي أن التذييل يكون بجملة تحقق ماقبلها وتؤكدها وإن تعددت عباراتها. **أهمية دراسته في القرآن الكريم:** دراسة التذييل القرآني تمثل جانبا مهما من علوم التفسير والبلاغة، لما لها من دور في بيان المقاصد الإلهية وتأثيره في المتلقي، وهوسمة

---

(١) إعجاز القرآن للباقلاني لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ)المحقق: السيد أحمد صقرالناشر: دار المعارف – مصرالطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م(١٠٢/١).

(٢) البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ).
المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (٦٨/٣-٦٩).

(٣) الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م (٢٥٠/٣).

فريدة من سمات القرآن الكريم تعين علي فهم المعنى واستنباط الأحكام. وتكمن أهميته فيما يلي:

١- الاستعانة بهذا العلم على فهم كتاب الله تعالي لأن دراسة أسلوب التذييل تعين على فهم معني محكم التنزيل، وتبين كثيرا من اللطائف والدقائق.

٢- إبراز جانب من جوانب الإعجاز القرآني؛لأنه بدراسة أسلوب التذييل تزداد المعاني جلاء، وتتجلي لطائف الصلات ودقائق المناسبات بين الآيات بما يكشف عن الوحدة الموضوعية للقرآن، ويبرز جانبا من جوانب إعجازه البلاغي.

٣- الرد على أعداء الإسلام في ادعائهم أن آيات القرآن لا يجمعها سياق وليس بينها وفاق.

٤- ربط العقيدة بالسلوك: التذييلات تغرس الإيمان بأسماء الله وصفاته .

٥- تربية النفس وتقويمها: فهم التذييل يساعد المسلم على الخوف عند ورود صفات العقاب، الرجاء عند ذكر المغفرة، الخشوع عند ذكر العلم والإحاطة.

٦- دراسة التذييل في القرآن تفتح بابا لفهم أعمق وأدق للآيات، وتربط بين اللفظ والمعنى، والتوجيه والعقيدة، وهي علم قرآني دقيق يجمع بين البلاغة، والتفسير، والتدبروالتزكية.

## المبحث الثاني

## أقسامه وأغراضه

**أولا: أقسامه:**

**١-ينقسم باعتبارالاستقلال وعدمه إلى قسمين:**

**القسم الأول:** مالايخرج مخرج المثل لعدم استقلاله بإفادة المرادوتوقفه على ما قبله كقوله تعالى: {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} (سبأ: ١٧)، إن جملة {وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} تذييل يؤكد مفهوم الجملة التي جاءت قبلها، وهي مما لا يجري مجرى المثل، إذ المعنى: لا نجزي مثل هذا الجزاء المعجل بالعقاب المهلك الشامل للقوم إلا من كان كفورا(١).

**القسم الثاني:** ما يخرج مخرج المثل، وهو ما استقل معناه واستغنى عما قبله كقوله تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} (الإسراء: ٨١) قوله تعالي: { إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} تذييل أتى به لتأكيد الجملة قبله، وهو جاري مجرى المثل، بمعنى أن الجملة الثانية مستقلة بمعناها عن الجملة الأولى(٢). وقد جاء في السنة من هذا الباب قوله ﷺ: "من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، ولا يهلك على الله إلا هالك "

---

(١) ينظرالإيضاح في علوم البلاغة لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبي المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة (٣/٢٠٥-٢٠٦)، والبلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ) الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م (٢/٨٧).

(٢) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة (٣/٢٠٧)، والبلاغة العربية (٢/٨٦).

فقوله ﷺ: "ولا يهلك على الله إلا هالك"(١)، تذييل في غاية الحسن، خرج الكلام فيه مخرج المثل(٢) **وقد اجتمع القسمان** في قوله تعالي: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُالْمَوْتِ}(سورة الأنبياء: ٣٤-٣٥) فإن قوله: {أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} من الأول وما بعده من الثاني، وكل منهما تذييل على ما قبله(٣).

**٢-ومن حيث دلالته قسمان:**

**القسم الأول: ما يؤكد المنطوق:** وهو ما دل عليه اللفظ في محل النطق. بأن يكون هناك اشتراك بين الجملتين في نفس اللفظ(٤). القسم الثاني: ما يؤكد المفهوم: ما دل عليه لا في محل النطق. أي ماجاء من أجل تأكيد مفهوم الكلام(٥).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرونإشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركيالناشر: مؤسسة الرسالةالطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ ممن حديث بن عباس (٣١٥/٤) برقم (٢٥١٩) وقال محققه إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ) تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمد شرف الناشر: الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي(٣٨٨/١).

(٣) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة لعبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م(٣٥٤/٢).

(٤) ينظر أصول الفقه لمحمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبي عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ) حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد بن محمد السَّدَحَان الناشر: مكتبة العبيكان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م (١٠٥٦/٣).

(٥) ينظر أصول الفقه لابن مفلح (١٠٥٦/٣).

**ثانيا: أغراضه:**

"المتأمل في التذييل في القرآن الكريم يجد أن للتذييل غرضا عاما، وهو تأكيد المعنى وتقريره وتقوية أمره، ومن ذلك قوله تعالي: {وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} (الجمعة: ٧) فجملةُ {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} تذييلٌ لما قبلَها مقررةٌ لمضمونِهِ أيْ عليمٌ بهِم وبِمَا صدرَ عَنْهُم من فنونِ الظلمِ والمعَاصِي المفضيةِ إلى أفانينِ العذابِ وبِمَا سيكونُ منهُم منَ الاحترازِ عَمَّا يؤدِّي إلى ذلكَ فوقعَ الأمرُ كما ذكرَ فلم يتمنَّ منهُم موتَهُ أحدٌ"(١). ولكن أغراض التذييل في القرآن الكريم متعددة، وهي تعد من الأساليب المهمة التي تستخدم لتعزيز المعنى، وتثبيت الفكرة، وربط الجملة بما قبلها، وزيادة في نفس القارئ أو السامع. وهذا مانبه إليه ابن عاشور بقوله" فَالتَّذْيِيلُ ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْإِطْنَابِ مِنْ حَيْثُ يَشْتَمِلُ عَلَى تَقْرِيرِ مَعْنَى الْجُمْلَةِ الْأُولَى وَيَزِيدُ عَلَيْهِ بِفَائِدَةٍ جَدِيدَةٍ لَهَا تَعَلُّقٌ بِفَائِدَةِ الْجُمْلَةِ الْأُولَى"(٢). وفيما يلي أهم أغراض التذييل:

١- تحقيق البشارة أوالوعد والوعيد: ومن ذلك قوله تعالي: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (البقرة: ١٠٤). فجملة {وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} تذييلٌ لما سبق فيه وعيدٌ شديد لهم ونوعُ تحذير للمخاطبين عما نُهُوا عنه(٣).

---

(١) ينظر تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (٢٤٩/٨).

(٢) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر– تونس سنة النشر: ١٩٨٤هـ (٦٦٧/١).

(٣) إرشاد العقل السليم(١٤١/١).

٢- التعليل: قد يرد التذييل بغرض التعليل لما سبق من الكلام كقوله تعالي: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ ساءَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ} (المجادلة: ١٥). وجملة {إِنَّهُمْ ساءَ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ} تعليل لنزول العذاب الشديد بهم، أى: إن هذا العذاب الشديد المهيأ لهم سببه سوء أعمالهم في الدنيا، واستحبابهم العمى على الهدى(١).

٣- التهويل: ومن ذلك قوله تعالي: {رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} (سورةآل عمران: ١٩٢). فجملة { لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} تذييلٌ لإظهار نهايةِ فظاعةِ حالِهم ببيان خلودِ عذابِهم بفُقدان من ينصرُهم ويقوم بتخليصهم"(٢).

٤- التوبيخ والتقبيح: ومن ذلك قوله تعالي: {قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (الأنعام: ١٢). فجملة {الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} "تذييلٌ مَسوقٌ من جهتِه تعالَى لهم لتقبيح حالهم "(٣).

٥- الترغيب والتشويق: ومن ذلك قوله تعالي: { قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (سورة سبأ: ٣٩) فجملة {وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}تذييل يحمل معنى الترغيب في الإنفاق في سبيل الله"(٤).

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى (٢٦٩/١٤).

(٢) إرشاد العقل السليم (١٣١/٢).

(٣) المرجع السابق (١١٥/٣).

(٤) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبي بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م (٣٢٦/٤).

٦- التسلية للرسول ﷺ والمؤمنين ومن ذلك قوله تعالي: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا} فجملة {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً} تذييلية الغرض منها التسلية للرسول ﷺ والمؤمنين من أجل ما يلاقون من عناد المشركين وأذاهم(١).

٧- الإجمال بعد التفصيل: ومن ذلك قوله تعالي: {لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} (سورة الحشر: ٢٠). "تذييل لما سبقها وهي كالفذلكة لما تقدم من الأمر بتقوى الله عز وجل وبيان حال المتقين الذاكرين والناسين الفاسقين"(٢).

٨- الإنكار: ومن ذلك قوله تعالي: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} فجملة {وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}" تَذْيِيلٌ لِإِنْكَارِ ذَلِكَ الْحُسْبَانِ، أَيْ: لَا تَحْسَبُوا ذَلِكَ مَعَ عِلْمِكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِكُلِّ مَا تعملونه"(٣).

٩- التهديد ومن ذلك قوله تعالي: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} (سورة التوبة"٢٤) فجملة {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} تَذْيِيلٌ، وَالْوَاوُ اعْتِرَاضِيَّةٌ وَهَذَا تَهْدِيدٌ بِأَنَّهُمْ فَضَّلُوا قَرَابَتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ

(١) أيسر التفاسير (٣٠٦/٣).
(٢) المرجع السابق (٣١٥/٥).
(٣) التحرير والتنوير(١٣٩/١٠).

وَرَسُولِهِ وَعَلَى الْجِهَادِ فَقَدْ تَحَقَّقَ أَنَّهُمْ فَاسِقُونَ {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} فَحَصَلَ بِمَوْقِعِ التَّذْيِيلِ تَعْرِيضٌ بِهِمْ بِأَنَّهُمْ من الْفَاسِقِين(١).

١٠- تنبيه المسلمين لأمر ما أراده الله عزوجل ومن ذلك قوله تعالي: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} (سورة التوبة ٤٧). فجملة {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}" تَذْيِيلٌ قُصِدَ مِنْهُ إِعْلَامُ الْمُسْلِمِينَ بِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَحْوَالَ الْمُنَافِقِينَ الظَّالِمِينَ لِيَكُونُوا مِنْهُمْ عَلَى حَذَرٍ، وَلِيَتَوَسَّمُوا فِيهِمْ مَا وَسَمَهُمُ الْقُرْآنُ بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ الِاسْتِمَاعَ لَهُمْ هُوَ ضَرْبٌ مِنَ الظُّلْمِ"(٢).

١١- التعجب ومن ذلك قوله تعالي{كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (سورة يونس: ٣٣). تَذْيِيلٌ لِلتَّعْجِيبِ مِنِ اسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ بَعْدَ مَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنَ الْحُجَجِ وَالْآيَاتِ، وَتَأْيِيسٌ مِنْ إِيمَانِهِمْ بِإِفَادَةِ أَنَّ انْتِفَاءَ الْإِيمَانِ عَنْهُمْ بِتَقْدِيرِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فَقَدْ ظَهَرَ وُقُوعُ مَا قَدَّرَهُ مِنْ كَلِمَتِهِ فِي الْأَزَلِ(٣).

١٢- المدح ومن ذلك قوله تعالي: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} (سورة ال عمران) فجملة {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألباب} تذييلٌ سيق من جهته تعالى مدحاً للراسخين بجَوْدة الذهن

(١) ينظر التحرير والتنوير(١٠/١٥٤).
(٢) ينظر المرجع السابق (١٠/٢١٨).
(٣) ينظر المرجع السابق (١١/١٥٩).

وحسنِ النظر وإشارةٌ إلى ما به استعدوا للاهتداء إلى تأويله من تجرد العقلِ عن غواشي الحِسِّ[1].

مما سبق يتضح أن التذييل كثيرالوقوع في القرآن الكريم، وأن للتذييل غرضا عاما، وهو تأكيد المعنى وتقريره وتقوية أمره، وله أهمية في بيان المراد من الكلام وتأكيد معناه.

(١) إرشاد العقل السليم ( ٨/٢).

## المبحث الثالث

## الفرق بين التذييل والفاصلة

**الفاصلة لغة:** الفصل بين الشيئين المتصلين، الْفَاءُ وَالصَّادُ وَاللَّامُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى تَمْيِيزِ الشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ وَإِبَانَتِهِ عَنْهُ. يُقَالُ: فَصَلْتُ الشَّيْءَ فَصْلاً(١).

**الفاصلة في الاصطلاح:** عرفها الباقلاني: حيث قال: " الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني"(٢) وعرفها الرُمَّاني بأنها: "حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعاني"(٣). وعرفها الزركشي بأنها: "كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"وقال الداني: "كلمة آخر الجملة"وقال الجعبري: "وهو خلاف المصطلح ولا دليل له في تمثيل سيبويه {يَوْمَ يَأْتِ} (سورة هود: ١٠٥) و{ مَا كُنَّا نَبْغِ} (سورة الكهف: ٦٤) وليسا رأس آية لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية"(٤) **ومن خلال ماسبق يتضح** أن "الفاصلة قد تكون أعم من التذييل؛لأن التذييل لا يكون إلا جملة، أما الفاصلة يمكن أن تكون كلمة واحدة تشكل آية بنفسها، ويمكن أن تكون هي جملة التذييل، وقد تكون جزءاً من التذييل؛ لأنها أخر كلمة فيه، فبينهما عموم وخصوص".

---

(١) معجم مقاييس اللغةلأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ). المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكرعام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. مادة (فصل) (٥٠٥/٤).

(٢) إعجاز القرآن للباقلاني (|٢٧٠/١).

(٣) النكت في إعجاز القرآن لعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبي الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ). المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف بمصرالطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م(٩٧/١).

(٤) البرهان في علوم القرآن(٥٣/١).

## المبحث الرابع

## من مظاهر اعتناء المفسرين بالتذييل في كتب التفسير

لمحة موجزة لأبرز المفسرين الذين اعتنوا بهذا الفن – التذييل – يتضح لنا من خلالها ما لهذا الأسلوب من مكانة كبيرة عند المفسرين، ولهذا اهتموا به في كتبهم، وتناولوه بالدراسة مبينين الغرض منه. ومن هؤلاء المفسرين:

١- الإمام أبو السعود: لقد اعتنى الإمام أبو السعود في تفسيره بالتذييل مبيناً الغرض منه، فعند تفسيره لقوله تعالي: {يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (سورة التغابن: ٤) قال"وقوله تعالي: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} اعتراضٌ تذييليٌّ مقرِّرٌ لما قبلَهُ من شمولِ علمِهِ تعالَى لسرِّهم وعلنِهم أي هو محيطٌ بجميعِ المضمرات المستكنةِ في صدورِ الناسِ بحيثُ لا تفارقُها أصلاً فكيف يخفى عليه ما يُسرونَهُ وما يُعلنونَهُ[١].

٢- الإمام الآلوسي نجد أنه تحدث عن التذييل وبين الغرض من مجيئه، فعند تفسيره لقوله تعالي: {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (سورة الحجرات: ١٦) قال: "وقوله سبحانه: {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} تذييل مقرر لما قبله أي مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند إظهارهم الإيمان"[٢].

---

(١) إرشاد العقل السليم (٢٥٦/٨).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطيةالناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ (٣١٩/١٣).

٣-الإمام الطاهر بن عاشور: لقد اعتنى الإمام الطاهر بن عاشور بالتذييل في تفسيره فمثلا عند تفسيره لقوله تعالي: {ذلكَ بِأَنَّهُ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَقالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} (سورة التغابن: ٦) قال جملة {وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} تَذْيِيلٌ، أَيْ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيمَا طَلَبَ مِنْهُمْ، حَمِيدٌ لِمَنِ امتثل وشكر[١].

(١) التحرير والتنوير(٢٨/٢٧٠).

# الفصل الثاني

# التذييل في سورة الحجرات

## المبحث الأول

## بين يدي سورة الحجرات

**المطلب الأول: تسميتها:**

سُمِّيَتْ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ وَكُتُبِ السُّنَّةِ وَالتَّفْسِيرِ سُورَةَ الْحُجُرَاتِ وَلَيْسَ لَهَا اسْمٌ غَيْرُهُ.

وَوَجْهُ تَسْمِيَتِهَا بهذا الاسم: أَنَّه ذُكِرَ فِيهَا لَفْظُ الْحُجُرَاتِ. وَنَزَلَتْ فِي قِصَّةِ نِدَاءِ بَنِي تَمِيمٍ رَسُول الله ﷺ مِنْ وَرَاءِ حُجُرَاتِهِ، فَعُرِفَتْ بِهَذِهِ الْإِضَافَةِ[1].

**المطلب الثاني: عدد آياتها وكلماتها وحروفها:**

عدد آيات السورة الكريمة: ثَمَانَ عَشْرَةَ آيَةً[2].

-عدد كلمات السورة الكريمة: ثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة[3].

---

(١) التحرير والتنوير(٢٦/٢١٣).

(٢) التحرير والتنوير(٢٦/٢١٣)، ومفاتيح الغيب = التفسير الكبيرلأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ(٢٨/٩١)، وروح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبي الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر – بيروت(٩/٦١).

(٣) لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: تصحيح محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ(٤/١٧٥)، اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني=

– عدد حروفها: ألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا(١).

**المطلب الثالث: نزول السورة الكريمة.**

"سورة الحجرات هِيَ السُّورَةُ الثَّامِنَةُ بَعْدَ الْمِائَةِ فِي تَرْتِيبِ نُزُولِ السُّوَرِ، نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْمُجَادِلَةِ وَقَبْلَ سُورَةِ التَّحْرِيمِ وَكَانَ نُزُولُ هَذِهِ السُّورَةِ سَنَةَ تِسْعٍ"(٢).

**المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها.**

يوجد بين سورة الحجرات، والفتح ارتباط وثيق وذلك من وجوه مختلفة: أولا: في كلتا السورتين تشريف وتكريم لرسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم، خصوصا في مطلع كل منهما، والتشريف يقتضي من المؤمنين الرضا بما رضي به الرسول صلّى اللَّه عليه وسلّم من صلح الحديبية، وألا يتركوا شيئا من احترامه قولا وفعلا. **ثانيا:** في كلتا السورتين حديث عن مدح وثناء الله لأصحاب النبي صلي الله عليه وسلم. أنه تعالى وصف المؤمنين بأنهم أشداء ورحماء فيما بينهم وبكونهم راكعين ساجدين وذكر أن لهم من الحرمة عند الله ماأورثهم حسن الثناء في الكتب المتقدمة قوله: {ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي

---

=(المتوفى: ٧٧٥هـ)المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنانةالطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م(٥٢٠/١٧)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبيرلشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) – القاهرةعام النشر: ١٢٨٥ هـ(٥٩/٤).

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل(١٧٥/٤)، واللباب في علوم الكتاب(٥٢٠/١٧)، والسراج المنير(٥٩/٤).

(٢) التحرير والتنويلر(٢١٣/٢٦)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ(٣٤٩/٤).

الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ} [الفتح: ٢٩]، فإن الملك العظيم لا يذكر أحدا في غيبته إلا إذا كان عنده محترما ووعدهم بالأجر العظيم فقال في هذه السورة لا تفعلوا ما يوجب انحطاط درجاتكم وإحباط حسناتكم. **ثالثا:** في كلتا السورتين حديث عن بعض أحكام الجهاد. في السورة المتقدمة حكم قتال الكفار، وفي هذه حكم قتال البغاة.

**رابعا:** في كلتا السورتين حديث عن المؤمنين بصفة عامة. ختمت السابقة بقوله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا} وافتتحت هذه ب {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}. . تذكيرا لهم بحرمتهم عند اللَّه عند ما وصفهم بكونهم أشداء رحماء، مما يقتضي محافظتهم على هذه الدرجة بطاعة اللَّه تعالى والرسول صلّى اللَّه عليه وسلّم. **خامسا:** أنهم في السورة المتقدمة لما جرى منهم ميل إلى الامتناع مما أجاز النبي صلى الله عليه وسلم من الصلح، وألزمهم الله كلمة التقوى قال لهم على سبيل العموم: {لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} أي لا تتجاوزوا ما أتى من الله تعالى ورسوله(١).

**المطلب الخامس: أغراض ومقاصد السورة الكريمة:**

"اشتملت سورة الحجرات على كثير من الأخلاق والأداب فقد وجهت السورة الي تنظيم المجتمع الإسلامي على أساس متين من التربية القويمة، والأخلاق الرصينة، فهي في الأمر بمكارم الأخلاق ورعاية الآداب. وآدابها نوعان: خاص وعام. أما الآداب الخاصة: فهي ماله علاقة بين الأمة ونبيها ﷺ. وقد ابتدأت السورة بها، فأوجبت طاعة اللَّه تعالى والرسول ﷺ وحذرت من

(١) مفاتيح الغيب(٩١/٢٨)، واللباب في علوم الكتاب(٥٢١/١٧)، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لد وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر : دار الفكر المعاصر – دمشق لطبعة : الثانية، ١٤١٨ هـ - ٢١٢/٢٦).

المخالفة. {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا} ثم أمرت بخفض الصوت أثناء خطاب النبي ﷺ إجلالا له وهيبة منه وتعظيما لقدرة: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ} ثم طالبت المؤمنين بخطاب الرسول ﷺبصفة النبوة والرسالة، لا باسمه وكنيته تعظيما واحتراما له، وجعلت خفض الصوت عند رسول اللَّه ﷺ من التقوى، وذمّت من يناديه من وراء حجرات نسائه كعيينة بن حصن وأشباهه، وذكرت السورة في آخرها ذمّ الامتنان على اللَّه تعالى ورسوله ﷺ بالإيمان: {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ} **ثم تحدثت عن الآداب الاجتماعية العامة:** وهي المتصلة بعلاقات الناس بعضهم مع بعض، مما فيه تقرير فضيلة وذم رذيلة، لإقامة دعائم المجتمع الفاضل. فأمرت المؤمنين بالتثبّت من الأخبار وعدم الإصغاء للإشاعات التي يروجها الفسّاق ويتناقلونها: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ} وأشادت بمقتضى الإيمان، وكرّهت الكفر والفسوق والعصيان. **ثم أبانت طريق فض المنازعات الداخلية** بين فئتين متقاتلتين من المؤمنين وهو الإصلاح، وقتال الفئة الباغية (البغاة) حتى تعود لصف الجماعة والوحدة: {وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}. وأعلنت قيام رابطة الإخاء والود بين المؤمنين، وحذرت من تفكك الجماعة المؤمنة وإثارة النزاع بين أفرادها، وتوليد الأحقاد والضغائن والكراهية بسبب السخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب، سواء بين الرجال أو النساء، أو بسبب سوء الظن بالمسلم والتجسس (تتبع العورات) والغيبة والنميمة. ثم أعلنت مبدأ الإخاء الإنساني، والمساواة بين الشعوب والأفراد من مختلف الأجناس والألوان والعناصر، فلا عداوة ولا طبقية ولا عنصرية، وإنما التفاضل بالتقوى والعمل الصالح ومكارم الأخلاق. **وختمت السورة** بالكلام عن الأعراب، فميّزت بين الإيمان والإسلام، وذكرت غرر صفات المؤمنين وشروط المؤمن الكامل (الإيمان بالله ورسوله، والجهاد بالمال والنفس في سبيل اللَّه) وعابت المنّ على الرسول ﷺ بالإسلام، ووضعت ضابط احترام القيم الدينية والأخلاقية، وهو

رقابة اللَّه جل جلاله لعباده، وعلمه بغيب السموات والأرض وأهلهما، وبصره بجميع أعمال الخلق"(١).

**وعن مقصودالسورة الكريمة يقول الإمام البقاعي:** "مقصودها الإرشاد إلى مكارم الأخلاق بتوقير النبي ﷺ بالأدب معه في نفسه وفي أمته، وحفظ ذلك من إجلاله بالظاهر ليكون دليلا على الباطن فيسمى إيمانا، كما أن الإيمان بالله يشترط فيه فعل الأعمال الظاهرة والإذعان لفعلها بشرائطها وأركانها وحدودها لتكون بينة على الباطن وحجة شاهدة له قال تعالي: {**الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**} [العنكبوت: ٢] فحاصل مقصودها مراقبة النبي ﷺ في الأدب معه"(٢) وعن مقصود السورة يقول الفيروزآبادي: "معظم مقصود السورة: محافظة أمر الحق تعالى، ومراعاة حرمة الأكابر، والتؤدة فى الأمور، والاجتناب عن التهور، والكون فى إغاثة المظلوم، والاحترازعن السخرية بالخلق، والحذر عن التجسس والغيبة، وترك الفخربالأحساب والأنساب، والتحاشى عن المنة على الله بالطاعة، وإحالة علم الغيب إلى الله – تعالى"(٣).

---

(١) التحرير والتنوير( ٢١٤/٢٦) والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج (٢١٢/٢٦-٢١٣).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة(٣٤٩/١٨).

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيزلمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)المحقق: محمد علي النجارالناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة (٤٣٥/١).

## المبحث الثاني

## لطائف التذييل في السورة الكريمة

**الموضع الأول: التذييل في قوله تعالى:**

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (الحجرات: ١).

**أولا: جملة التذييل، ومعناها:**

{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} "{إِنَّ الله سَمِيعٌ} لأقوالِكم {عَلِيمٌ} بأفعالِكم فمِنْ حَقِّه أنْ يُتقَّى ويراقب"(١).

قال الرازي : "وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} يؤكد ما تقدم لأنهم قالوا آمنا، لأن الخطاب يفهم بقوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}فقد يسمع قولهم ويعلم فعلهم وما في قلوبهم من التقوى والخيانة، فلا ينبغي أن يختلف قولكم وفعلكم وضمير قلبكم، بل ينبغي أن يتم ما في سمعه من قولكم آمنا وسمعنا وأطعنا وما في علمه من فعلكم الظاهر، وهو عدم التقدم وما في قلوبكم من الضمائر وهو التقوى"(٢).

**ثانيا: المعنى الإجمالي:**

{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} أي يا أيها المؤمنون إيمانا صحيحا، لا تتقدموا ولا تتعجلوا بقول أو حكم أو قضاء في أمر ما أو فعل قبل قضاء اللَّه تعالى ورسوله صلّى اللَّه عليه وسلّم لكم فيه، فربما تقضون بغير حق، واتقوا اللَّه في كل أموركم، وراقبوه في عدم تخطي ما لم يأذن به اللَّه تعالى ورسوله ﷺ، فإن اللَّه سميع لأقوالكم، عليم

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١١٦/٨).
(٢) مفاتيح الغيب(٩٢/٢٨).

بأفعالكم ونياتكم، لا يخفى عليه شيء منكم. وهذا نهي واضح عن مخالفة كتاب اللَّه تعالى وسنة رسوله ﷺ، وذكر الرسول، لأنه مبلّغ عن اللَّه تعالى شرعه ودينه(١).

**ثالثا: من لطائف التذييل :**

* الله سبحانه وتعالي يسمع كل ما يقال، خصوصا ما يقال في حق النبيﷺ أو بحضرته فهذا تحذير أن كل كلمة مسموعة ومحسوبة.

* قال الطاهر بن عاشور: "وَجُمْلَةُ {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} فِي مَوْضِعِ الْعِلَّةِ لِلنَّهْيِ عَنِ التَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِلْأَمْرِ بِتَقْوَى اللَّهِ. وَالسَّمِيعُ: الْعَلِيمُ بِالْمَسْمُوعَاتِ، وَالْعَلِيمُ أَعَمُّ وَذَكَرَهَا بَيْنَ الصِّفَتَيْنِ كِنَايَةً عَنِ التَّحْذِيرِ مِنَ الْمُخَالَفَةِ فَفِي ذَلِكَ تَأْكِيدٌ لِلنَّهْيِ وَالْأَمر". وَقَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} تذييل لِلْكَلَامِ و(إِن) هَذَا مُقَيِّدَةٌ لِلتَّعْلِيلِ وَالرَّبْطِ أَيْ فَعَلَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٢).

* قال الشوكاني: "ثم علل ما أمر به من التقوى بقوله: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} لكل مسموع عليم بكل معلوم"(٣).

---

(١) المنير للزحيلي(٢١٨/٢٦-٢١٩).

(٢) التحرير والتنوير(٢١٩/٢٦)، (٢٩٧/٩).

(٣) فتح القدير: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ (٦٩/٥)، فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م (١٣٠/١٣).

* قال تعالي: "{وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} الواو حرف عطف واتقوا فعل أمر وفاعل ولفظ الجلالة مفعول به وإن واسمها وخبرها والجملة تعليلية لا محل لها من الإعراب"(١).

* وفي هذا إشارة إلي مراقبة الله الكاملة فلا مجال للمراءة أو التظاهر بالأدب، لأن الله يسمع ويعلم.

* قال بن كثير عند تفسيره لهذه الآية"هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام"

ثم يوضح أن النهي عن التقديم بين يدي الله ورسوله يشمل: عدم القول بخلاف الكتاب والسنة، عدم التسرع في الكلام أو الفعل قبل النبي ﷺ، عدم الاجتهاد بالرأي قبل الرجوع إلى الكتاب والسنة. ويختم بقوله {وَاتَّقُوا اللَّهَ}، {عَلِيمٌ }أي فيما أمركم به {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ }أي لأقوالكم عليم بنياتكم(٢).

* الله سبحانه وتعالي يعلم النيات القلبية والدوافع حتي لو لم يظهر باللسان، ويربط بين السلوك الظاهري والتقوي الباطنية.

* قال الرازي: "وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}يؤكد ما تقدم لأنهم قالوا آمنا، لأن الخطاب يفهم بقوله يا أيها الذين آمنوا فقد يسمع قولهم ويعلم فعلهم وما في قلوبهم من التقوى والخيانة، فلا ينبغي أن يختلف قولكم

---

(١) إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى : ١٤٠٣هـ) الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت) الطبعة : الرابعة، ١٤١٥ هـ(٢٥٨/٩)، وإعراب القرآن الكريم لأحمد عبيد الدعاس– أحمد محمد حميدان – إسماعيل محمود القاسم الناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ(٢٥٠/٣).

(٢) ينظرتفسير القرآن العظيم(٣٤٠/٧).

وفعلكم وضمير قلبكم، بل ينبغي أن يتم ما في سمعه من قولكم آمنا وسمعنا وأطعنا وما في علمه من فعلكم الظاهر، وهو عدم التقدم وما في قلوبكم من الضمائر وهو التقوى"(١).

* قال تعالي: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} لأقوالكم، { عَلِيمٌ} بأفعالكم ونياتكم، لا يخفى عليه شيء منكم. وهذا نهي واضح عن مخالفة كتاب اللَّه تعالى وسنة رسوله صلّى اللَّه عليه وسلّم، وذكر الرسول، لأنه مبلّغ عن اللَّه تعالى شرعه ودينه. قال ابن عباس في الآية: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة. وقال الضحاك: لا تقضوا أمرا دون اللَّه تعالى ورسوله صلّى اللَّه عليه وسلّم من شرائع دينكم"(٢).

**رابعا : التذييل ومناسبته لسياق الآية:**

* الآية تنهي المؤمنين عن التقدم بين يدي الله ورسوله بأي قول أو فعل فختمت بإسمين من أسماء الله الحسني للتذكير بأن الله مطلع على الأقوال : "سميع" وعلى الأفعال"عليم"ليغرس في النفوس رقابة الله والخوف من مخالفته.

* فكان التذييل تحذيرا أن الله يعلم من يعظم النبي بقلبه ولسانه، ومن لا يفعل، حتي لو ادعي الأدب. فَهَذِهِ الْآيَةُ تَوْطِئَةٌ لِلنَّهْيِ عَنْ رَفْعِ الْأَصْوَاتِ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ وَالْجَهْرِ لَهُ بِالْقَوْلِ وَنِدَائِهِ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ(٣).

* التذييل بـــ"سميع عليم" شديد الارتباط بالسياق يدل على رقابة الله الكاملة على القول والعمل والنية، ويربط بين الأدب مع النبي ﷺ وبين مراقبة الله، الظاهرة والباطنة.

---

(١) مفاتيح الغيب(٩٢/٢٨).
(٢) المنير للزحيلي(٢١٩/٢٦).
(٣) ينظر التحرير والتنوير(٢١٧/٢٦).

**خامسا: التذييل ومناسبته لسياق السورة:**

* سورة الحجرات سورة أداب، تعني ب تنظيم علاقة المؤمنين بالنبي ﷺ، وضبط اللسان والسلوك في المجتمع، وتهذيب الظاهر والباطن فجاء التذييل "سميع عليم "في بدايتها لزرع رقابة الله في القلب، ويسمع مايقال، ويعلم مايخفي فلا أدب حقيقي ولا طاعة صادقة إلا إذا استشعر العبد أن الله سميع لأقواله، عليم بنياته. وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} أي يسمع ما تقولون، ويعلم ما لا تقولون مما تخفونه فى صدوركم.. فيجازيكم بما كان منكم من حسن أو سوء(١).

* فجاء التذييل مناسبا تماما لسياق الأدب مع النبي ﷺ يؤسس لمبدأ: الرقابة الإلهية الكاملة على القول والفعل والنية، وهو مقدمة تمهد لبقية الآداب والسلوكيات التي تعرضها السورة. ومن خلال هذه التفاسير، يتضح أن ختم الآية بـــ" إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" جاء مناسبا للسياق حيث يحذر المؤمنين من مخالفة الأدب مع الله ورسوله في القول والفعل والنية، ويذكرهم بأن الله يسمع أقوالهم ويعلم نواياهم، فكان التذييل بقوله {إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} تحذير.

**الموضع الثاني: التذييل في قوله تعالى:**

{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} (الحجرات: ٣).

**أولا: جملة التذييل، ومعناها:**

قال تعالى: {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} لذنوبهم {وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} أي: ثواب وافر في الجنة. يعني: يجعل ثوابهم في الدنيا أن يخلص قلوبهم للتقوى، وفي الآخرة أجر عظيم(٢).

---

(١) التفسير القرآني للقرآن (٤٣٤/١٣).

(٢) بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ) (٣٢٤/٣).

قال تعالى: {لَهُمْ مَغْفِرَة وَأَجْرٌعَظِيمٌ} أي: مغفرة لذنوبهم، وأجرعظيم: نعيم الجنان(١).

**ثانيا: المعنى الإجمالي:**

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}أي إن الذين يخفضون أصواتهم في أثناء كلام رسول اللَّه ﷺ وفي مجالسه، أخلص اللَّه قلوبهم للتقوى، ومحّصها، وجعلها أهلا ومحلا، كما يمتحن الذهب بالنار، فيخرج جيده من رديئه، ويسقط خبيثه، فكذلك هؤلاء المتأدبون عند رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم، طهر اللَّه قلوبهم من كل قبيح، ولهم مغفرة لذنوبهم، وثواب عظيم على تأدبهم بخفض الصوت وسائر الطاعات(٢).

**ثالثا: من لطائف التذييل :**

* في قوله تعالي: {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌعَظِيمٌ} تدرج رحيم فبدأ التذييل ب المغفرة: لمحو الذنوب السابقة، ثم الأجر العظيم جزاء على حسن الطاعة بعد التوبة.
* قال البيضاوي: {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ لذنوبهم وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} لغضهم وسائر طاعاتهم، والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لـــ(إن)، أو استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضبين إحماداً لحالهم كما أخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين، والمبتدأ إسم الإشارة المتضمن لما جعل عنواناً لهم، والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم أقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له، وتعريضاً بشناعة الرفع والجهر وأن حال المرتكب لهما على خلاف ذلك"(٣).

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٥/٤١٦).
(٢) التفسير المنير للزحيلي (٢٦/٢٢٠).
(٣ )أنوار التنزيل وأسرار التأويل(٥/١٣٤)

* قال الطاهر بن عاشور: "وَافْتِتَاحُ الْكَلَامِ بِحَرْفِ التَّأْكِيدِ لِلِاهْتِمَامِ بِمَضْمُونِهِ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَجَزَاءِ عَمَلِهِمْ، وَتُفِيدُ الْجُمْلَةُ تَعْلِيلَ النَّهْيَيْنِ بِذِكْرِ الْجَزَاءِ عَنْ ضِدِّ الْمَنْهِيِّ عَنْهُمَا وَأَكَّدَ هَذَا الِاهْتِمَامَ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ فِي قَوْلِهِ: {أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى}مَعَ مَا فِي اسْمِ الْإِشَارَةِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ الْمُشَارَ إِلَيْهِمْ جَدِيرُونَ بِالْخَبَرِ الْمَذْكُورِ بَعْدَهُ لِأَجْلِ مَا ذُكِرَ مِنَ الْوَصْفِ قَبْلَ اسْمِ الْإِشَارَةِ. وَجُمْلَةُ {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ"}خَبَرُ إِنَّ وَهُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ هَذِهِ مِنَ الْجُمْلَةِ الْمُسْتَأْنَفَةِ وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ لِلتَّنْوِيهِ بِشَأْنِهِ(١).

* قال الآلوسي: "فتأمل لَهُمْ في الآخرة {مَغْفِرَةٌ لذنوبهم وَأَجْرٌعَظِيمٌ} لغضهم أصواتهم عند النبي عليه الصلاة والسلام ولسائر طاعاتهم، وتنكير {مَغْفِرَةٌ وأَجْرٌ} للتعظيم، ففي وصف أجر بعظيم مبالغة في عظمه فإنه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وجملة "لَهُمْ"إلخ مستأنفة لبيان جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما أخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين، والمبتدأ اسم الإشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم، والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم أقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بعضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وإن حال المرتكب لهما على خلاف ذلك(٢).

* الإيجاز المؤثر: لم يحدد وصف ب"غفور رحيم" ليترك المجال لرجاء واسع، ويشمل الثواب الدنيوي والأخروي.

* قال أبو السعود: {لَهُمْ} في الآخرةِ {مَغْفِرَةٌ} عظيمةٌ لذنوبِهم {وَأَجْرٌ عظِيمٌ} لا يُقادرُ قَدرُه والجملةُ إمَّا خبرٌ آخر لأن كالمجملة المصدرةِ

(١) التحرير والتنوير(٢٢٣/٢٦).
(٢) روح المعاني (٢٩١/١٣).

باسمِ الإشارةِ أو استئنافٌ لبيانِ جزائِهم إحماداً لحالِهم وتعريضاً بسوءِ حالِ منْ ليسَ مثلَهُم(١).

* {لَهُمْ} فى الآخرة {مَغْفِرَةٌ} عظيمة لذنوبهم {وَأَجْرعَظِيمٌ} التنكير للتعظيم اى ثابت لهم غفران واجر عظيم لا يقادر قدره لغضهم وسائر طاعاتهم فهو استئناف لبيان جزاء الغاضين مدحا لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم(٢).

**رابعا: التذييل ومناسبته لسياق الآية:**

* الربط بالسياق السابق : قبلها نهي الله المؤمنين عن رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ، لما في ذلك من سوء الأدب وقلة التوقير، ثم ذكر الله حال الذين امتثلوا الأدب الشرعي، فغضوا أصواتهم عند رسول الله ﷺ. ذكرت الفقرة الأولى في السورة أدبا من آداب المعاملة مع الله ورسولهﷺ، وذكرت الفقرة الثانية أدبا آخر من آداب المعاملة مع رسول الله ﷺ، فالصلة واضحة بين الفقرة الأولى والثانية(٣).

* إظهار الثمرة: لما كان خفض الصوت تعبيرا عن التقوي وتعظيم الرسول ﷺ، ختم الآية ببيان جزائهم الأخروي المغفرة لما سلف، والأجر العظيم علي ما عملوا، هذا يجعل الأمر أكثر ترغيبا في التحلي بالأدب مع النبي ﷺ. وقوله (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يقول: لهم من الله عفو عن ذنوبهم السالفة، وصفح منه عنها لهم (وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) يقول: وثواب جزيل، وهو الجنة(٤).

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(١١٧/٨).
(٢) روح البيان(٦٦/٩).
(٣) الأساس في التفسير(٥٤٠٤/٩).
(٤) جامع البيان للطبري(٢٨٢/٢٢).

* إجمال بعد تفصيل الآية وصفتهم بأن الله امتحن قلوبهم للتقوي، وهذا تفصيل لحالهم الباطن فجاء التذييل بجزاء جامع مختصر (مغفرة وأجر عظيم) لتأكيد عظيم مكانتهم، وَافْتِتَاحُ الْكَلَامِ بِحَرْفِ التَّأْكِيدِ لِلِاهْتِمَامِ بِمَضْمُونِهِ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ وَجَزَاءِ عَمَلِهِمْ[١].

**خامسا: التذييل ومناسبته لسياق السورة:**

* تأكيد منزلة الأدب مع النبي ﷺ: السياق في سورة الحجرات يرسخ أدب التعامل مع الرسول ﷺ فجعل التذييل ثوابا عظيما للمؤمنين الذين يلتزمون الأدب معه، ليدل علي أن الأدب مع الرسول ﷺ من أعظم القربات[٢].

* بيان فضل الامتحان القلبي الآية وصفته بأن الله "امتحن قلوبهم للتقوي "ثم ذيلت بوعد المغفرة والأجر العظيم، لبيان أن الامتحان والتزكية ليست مجرد وصف، بل تترتب عليها مثوبة جليلة[٣].

* عموم المعني بعد خصوص السبب: التذييل هنا بصيغة عامة (لهم مغفرة وأجر عظيم) ليشمل كل من يغض صوته عند الرسول ﷺ ويتأدب معه، لا خصوص من نزلت فيهم {إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ} أي يخفضون أصواتهم عند رسول الله ﷺ أي إجلالا له وتعظيما "أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى" أي اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه "لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ"[٤].

ومن خلال هذه التفاسير، يتضح أن جميع المفسرين يربطون التذييل "لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌعَظِيمٌ" ب–أدبهم القولي والقلبي مع النبي ﷺ، وصدق الإيمان

(١) ينظر التحرير والتنوير(٢٢٢/٢٦).
(٢) ينظرتفسير القرآن العظيم(٣٤١/٧).
(٣) ينظرالبحر المحيط في التفسير(٥٠٨/٩).
(٤) ينظر لباب التأويل في معاني التنيل(١٧٧/٤).

والتقوي الباطنة، واستحقاقهم للمغفرة عن زلاتهم السابقة، ونيلهم لأجرعظيم لأنهم خضعوا لله ولرسوله بقلوبهم وألسنتهم. فالآية مناسبة للسياق فهي مدح للذين يغضون أصواتهم عند النبي ﷺ؛ أدبا وتعظيما فناسب أن يجازوا على هذا الأدب بمغفرة الذنوب وعظيم الأجر. فلم يقل "لهم أجر"بل قال"أجرعظيم" تعظيم لمقام هذا الأدب، ولم يقل "يعفوا عنهم"بل قال "مغفرة "إزالة الذنب وآثاره، ومن يتأدب مع النبي ﷺ بصدق القلب وظاهر السلوك، فإن جزاءه عند الله كامل: مغفرة – أجر عظيم.

**الموضع الثالث: التذييل في قوله تعالى:**

{وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (الحجرات: ٥).

**أولا: جملة التذييل، ومعناها:**

قال تعالى: {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} أي والله ذو عفو عمن ناداك من وراء الحجاب إن هو تاب من معصيته بندائك كذلك، وراجع أمر الله فى ذلك وفى غيره، رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك من بعد توبته منه"(١). "{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} غفر لهم ورحمهم لأنهم لم يقصدوا بهذا استخفافا، وإنما كان منهم سوء أدب"(٢).

**ثانيا: المعنى الإجمالي:** قال تعالى: "(وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ، لَكانَ خَيْراً لَهُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أى: ولو أن هؤلاء الذين ينادونك- أيها الرسول الكريم- من وراء الحجرات، صبروا عليك حتى تخرج إليهم ولم يتعجلوا بندائك بتلك الصورة الخالية من الأدب، لكان صبرهم خيرا لهم والله- تعالى- غفور رحيم أى: واسع المغفرة والرحمة"(٣).

---

(١) تفسير المراغي (١٢٥/٢٦).

(٢) إعراب القرآن للنحاس (١٤٠/٤).

(٣) التفسير الوسيط لطنطاوي (٣٠٣/١٣).

**ثالثا: من لطائف التذييل :**

**التذييل** بِقَوْلِهِ: {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} دلالة على فتح باب التوبة كأن الله يقول إن حصل منكم الخطأ في الأدب، فباب المغفرة والرحمة مفتوح وهذا أسلوب قرآني رقيق يربي النفس بلطف لا بعنف، وجاء مناسبا للخطاب العام للسورة السورة تهذب سلوك المسلمين، وتدعوهم للالتزام بالأدب مع النبي ﷺ ومع بعضهم فجاء التذييل ب "غفور رحيم" ليعزز جانب الرجاء والتدرج التربوي بدل الزجر فقط، وبلاغة في الإقناع النفسي بعد التوجيه "لكان خيرا"جاء التذييل ليظهر أن الخير لا يضيع، وأن الله يغفر التقصير، ويديم رحمته لمن تاب وأحسن.

* قال الطاهر بن عاشور "وَفِي تَعْقِيبِ هَذَا اللَّوْمِ بِقَوْلِهِ: (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) تذييل إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يُحْصِ عَلَيْهِمْ ذَنْبًا فِيمَا فَعَلُوا وَلَا عَرَّضَ لَهُمْ بِتَوْبَةٍ. وَالْمَعْنَى: وَاللَّهُ شَأْنُهُ التَّجَاوُزُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ رَحْمَةً بِالنَّاسِ لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا جاهلين[١].

* "(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) بليغ المغفرة والرحمة فلذا اقتصر سبحانه على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين الأدب التاركين تعظيم رسوله ﷺ، وقد كان مقتضى ذلك أن يعذبهم أو يهلكهم أو فلم تضق ساحة مغفرته ورحمته عز وجل عن هؤلاء ان تابوا وأصلحوا{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} تذييل أتى به للوعد بالثواب للمصلح على إصلاحه" [٢].

* "(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) بليغ المغفرة والرحمة واسعهما، فلن يضيق ساحتُهما عن هؤلاء إن تابوا وأصلحوا"[٣].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢٧/٢٦)، (١٢١/٢).

(٢) روح المعاني للالوسي (٢٩٦/١٣)، (٤٥٣/١).

(٣) البحر المديد(٤١٩/٥)، والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)الناشر: دار الكتاب العربي –=

* وفي هذا المقام امور الاول : ان في هذه الآية تنبيها على قدره عليه السلام والتأدب معه بكل حال فهم انما نادوه لعدم عقل يعرفون به قدره ولو عرفوا قدره لكانوا كما في الخبر يقرعون بابه بالأظافير وفي المناداة اشارة الى انهم رأوه من وراء الحجاب ولو كانوا من اهل الحضور والشهود لما نادوه. والثاني ذم الجهل ومدح العقل والعلم فان شرف العقل مدرك بضرورة العقل والعلم والحسن حتى ان اكبر الحيوانات شخصا وأقواها ابد إذا رأى الإنسان احتشمه وخاف منه لاحساسه بأنه مستول عليه بحيلته. والثالث: تدبر سر قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا} الآية ولا تنظر الى سبب النزول وانتظر خروجه مرة ثانية لقيام الساعة وفتح باب الشفاعة في هذه الدار نوما او يقظة في الآخرة وهو الشافع فيهما وفي الحافرة وقد ثبت ان الناس يلتجئون يوم القيامة الى الأنبياء ثم وثم الى ان يصلوا اليه فلا يصلون الى المراد الا عنده[1].

* قال الرازي: ثم قال تعالى: "(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) تحقيقا لأمرين أحدهما: لسوء صنيعهم في التعجل، فإن الإنسان إذا أتى بقبيح ولا يعاقبه الملك أو السيد يقال ما أحلم سيده لا لبيان حلمه، بل لبيان عظيم جناية العبد وثانيهما: لحسن الصبر يعني بسبب إتيانهم بما هو خير، يغفر الله لهم

---

=بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ(٣٥٩/٤)، وروح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبي الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)الناشر: دار الفكر – بيروت (٦٨/٩)، وتفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م (٣٥٠/٣).

(١) روح البيان (٦٩/٩-٧٠).

سيئاتهم ويجعل هذه الحسنة كفارة لكثير من السيئات، كما يقال للآبق إذا رجع إلى باب سيده أحسنت في رجوعك وسيدك رحيم، أي لا يعاقبك على ما تقدم من ذنبك بسبب ما أتيت به من الحسنة ويمكن أن يقال بأن ذلك حث للنبي صلى الله عليه وسلم على الصفح(١).

**رابعا: التذييل ومناسبته لسياق الآية:**

* بيان رحمة الله رغم الخطأ: مع أنهم أخطأوا في الأدب مع النبي ﷺ لم يكن الختام بالتهديد، بل بالترغيب في التوبة وهذا من تمام الرحمة في القرآن الكريم. (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره: الله ذو عفو عمن ناداك من وراء الحجاب، إن هو تاب من معصية الله بندائك كذلك، وراجع أمر الله في ذلك، وفي غيره؛ رحيم به أن يعاقبه على ذنبه ذلك من بعد توبته منه(٢).

* تحفيز للصبر: كأن الآية تقول : حتي لو أسأتم، فإن الله يغفر ويرحم إذاتبتم وأصلحتم. ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال عز وجل: (وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ، لَكانَ خَيْراً لَهُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) أي لكان لهم في ذلك الخيرة والمصلحة في الدنيا والآخرة. ثم قال جل ثناؤه داعيا لهم إلى التوبة والإنابة والله غفور رحيم(٣).

* تناسب مع خلق النبي ﷺ: الذي كان حليما، يعفو، ولا يقابل الجفاء بالجفاء فختمت الآية بصفات تعكس سعة عغوالله كما هو عفو رسوله. {وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ، لَكانَ خَيْراً لَهُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"} أي وليتهم لو صبروا حتى تخرج إليهم كالمعتاد، لكان لهم في ذلك الخير والمصلحة في الدنيا والآخرة، لما فيه من رعاية حسن الأدب مع

(١) مفاتيح الغيب(٢٨/٩٧).
(٢) ينظرجامع البيان للطبري(٢٢/٢٨٦).
(٣) تفسير القرآن العظيم(٧/٣٤٤).

رسول اللَّه ﷺورعاية جانبه الشريف، والعمل بما يستحقه من الإعظام والإجلال، والعمل بما يستحقه من الإعظام والإجلال، واللَّه غفور لذنوب عباده، رحيم بهم، لا يؤاخذ مثل هؤلاء فيما فرط منهم من إساءة الأدب. وهذا حث على التوبة والإنابة(١).

**خامسا: التذييل ومناسبته لسياق السورة:**

* السورة سورة تهذيب لاتعنيف: تبني السورة شخصية المسلم المؤدب مع النبي ﷺ ومع الناس فجاء هذا التذييل ليؤكد أن الخطأ لا يغلق باب القبول بل يقوم ويتدارك.

* توازن بين الشدة والرحمة: بدأ السياق بعتاب واضح لمن نادوا النبي ﷺ بغلظة، ثم ختم بلطف وهذا يحقق التوازن التربوي في السورة بين الحزم واللين.

* السورة تربي الإيمان العملي: السلوك الظاهري (الصوت، النداء) مرتبط بالقلب(التقوي)(٢).

ومن خلال هذه التفاسير، يتضح أن بعد توبيخهم على قلة عقلهم وسوءأدبهم، ختم الله الآية بـــ"وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"وليس ب "سَمِيعٌ عَلِيمٌ" وهذا يشير إلى أن الخطأ كان بدافع الجهل لا العناد، وأن باب التوبة مفتوح لمن أصلح سلوكه، حتى لا ييأس العاصي من رحمته. ولو ختمت الآية ب"سَمِيعٌ عَلِيمٌ"لأوحت بمزيد من الوعيد، أما "غَفُورٌ رَحِيمٌ"فختم يربط التأديب بالرجاء، ويشجع على التوبة والتأدب في المستقبل، ويبشر، ويصلح القلوب بعد تقويم السلوك.

---

(١) التفسير المنير(٢٢١/٢٦).

(٢) ينظرالتفسير المنير (٢٢٢/٢٦-٢٢٤).

**الموضع الرابع: التذييل في قوله تعالى:**

{فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (الحجرات: ٨).

**أولا: جملة التذييل، ومعناها:**

وَقَوله: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} أَي: عليم بخلقه، حَكِيم فِيمَا يدبره لَهُم(١).

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ } مبالغ في العلم فيعلم أحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل {حَكِيمٌ} يفعل كل ما يفعل من أفضال وإنعام وغيرهما بموجب الحكمة(٢).

**ثانيا: المعنى الإجمالي:**

وقوله تعالي (فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً) يقول: ولكن الله حبَّب إليكم الإيمان، وأنعم عليكم هذه النعمة التي عدّها فضلا منه، وإحسانا ونعمة منه أنعمها عليكم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول: والله ذو علم بالمحسن منكم من المسيء، ومن هو لنعم الله وفضله أهل، ومن هو لذلك غير أهل، وحكمة في تدبيره خلقه، وصرفه إياهم فيما شاء من قضائه(٣).

وقوله (فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً) أي هذا العطاء الذي منحكموه هو فضل منه عليكم ونعمة من لدنه والله عليم حكيم أي عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الغواية حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره(٤).

---

(١) تفسير القرآن لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م (٢١٨/٥).

(٢) روح المعاني(٣٠٣/١٣).

(٣) جامع البيان للطبري(٢٩١/٢٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم(٣٤٩/٧).

**ثالثا: من لطائف التذييل :**

* التذييل يربط السبب بالمسبب: ماقبل التذييل صفات الراشدين وما بعده بيان أن ذلك نتيجة فضل إلهي لا مهارة بشرية.
* قال البيضاوي "{فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً} تعليل ل (كَرَّهَ أو حَبَّبَ)، وما بينهما اعتراض لا ل (الرَّاشِدُونَ) فإن الفضل فعل الله، والرشد وإن كان مسبباً عن فعله مسند إلى ضميرهم أو مصدر لغير فعله فإن التحبيب والرشد فضل من الله وإنعام. (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حَكِيمٌ) حيث يفضل وينعم بالتوفيق عليهم"(١).
* "{فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً} اى وانعاما تعليل لحبب وكره وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله وهو التحبيب والتكريه مسند الى ضميرهم يعنى ان المراد بالفاعل من قام به الفعل وأسند هو اليه لا من أوجده ومن المعلوم ان الرشد قائم بالقوم والفضل والانعام قائمان به تعالى فلا اتحاد (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) مبالغ في العلم فيعلم احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل والتمايز (حَكِيمٌ) يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة"(٢).
* قال الطاهر بن عاشور: "وَجُمْلَةُ {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} تَذْيِيلٌ لِجُمْلَةِ {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ} إِلَى آخِرِهَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَا ذُكِرَ فِيهَا مِنْ آثَارِ عِلْمِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ. . وَالْوَاو اعتراضية"(٣).
* تحفيزعلي الشكر إذا أدرك المؤمن أن الإيمان نعمة إلهية فإنه يداوم علي شكر الله قلبا وعملا، وهناك تفاوت بين الناس ليس كل الناس وفقوا للإيمان، فمن حبب الله إليه الإيمان، فقد نال نعمة خاصة.

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٣٥/٥).
(٢) روح البيان(٧٢/٩).
(٣ )التحرير والتنوير(٢٣٨/٢٦).

* قال الرازي"ختم الآية بقوله {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} فيه مناسبات عدة منها أنه تعالى لما ذكر نبأ الفاسق، قال إن يشتبه على المؤمن كذب الفاسق فلا تعتمدوا على ترويجه عليكم الزور، فإن الله عليم، ولا تقولوا كما كان عادة المنافق لولا يعذبنا الله بما نقول، فإن الله حكيم لا يفعل إلا على وفق حكمته وثانيها: لما قال الله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ}[الحجرات: ٧] بمعنى لا يطيعكم، بل يتبع الوحي، قال فإن الله من كونه عليما يعلمه، ومن كونه حكيما يأمره بما تقتضيه الحكمة فاتبعوه ثالثها: المناسبة التي بين قوله تعالى: عليم حكيم وبين قوله حبب إليكم الإيمان أي حبب بعلمه الإيمان لأهل الإيمان، واختار له من يشاء بحكمته رابعها: وهو الأقرب، وهو أنه سبحانه وتعالى قال: {فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً} ولما كان الفضل هو ما عند الله من الخير المستغنى عنه، قال تعالى هو عليم بما في خزائن رحمته من الخير، وكانت النعمة هو ما يدفع به حاجة العبد، قال هو حكيم ينزل الخير بقدر ما يشاء على وفق الحكمة"(١).

* قال الآلوسي"{فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً} تعليل للأفعال المستندة إليه عز وجل في قوله سبحانه: {وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ} إلخ وما في البين اعتراض، وجوز كونه تعليلا للراشدين، وصح النصب على القول باشتراط اتحاد الفاعل أي من قام به الفعل وصدر عنه موجدا له أولا لما أن الرشد وقع عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة إلى اسمه تبارك اسمه فإنه لو قيل مثلا حبب إليكم الإيمان فضلا منه وجعل كناية عن الرشد لصح فيحسن أن يقال: أولئك هم الراشدون فضلا ويكون في قوة أولئك هم المحببون فضلا أو لأن الرشد هاهنا يستلزم كونه تعالى شأنه مرشدا

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١٠٤/٢٨).

إذ هو مطاوع أرشد، وهذا نظير ما قالوا من أن الإراءة تستلزم رؤية في قوله سبحانه: {يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً} [الرعد: ١٢] فيتحد الفاعل ويصح النصب، وجوز كونه مصدرا لغير فعله فهو منصوب إما بحبب أو بالراشدين فإن التحبيب والرشد من فضل الله تعالى وانعامه» وقيل: مفعول به لمحذوف أي يبتغون فضلا"(١).

**رابعا : التذييل ومناسبته لسياق الآية:**

* توضيح منشأ الإيمان الحقيقي: بعد أن بين الله أن بعض المؤمنين قد وفقوا لتحبب الإيمان وكراهية المعصية، جاءالتذييل ليقرر أن ذلك ليس بقدرتهم الذاتية بل هو فضل خالص من الله. وقوله (فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً) يقول: ولكن الله حبَّب إليكم الإيمان، وأنعم عليكم هذه النعمة التي عدّها فضلا منه، وإحسانا ونعمة منه أنعمها عليكم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) يقول: والله ذو علم بالمحسن منكم من المسيء، ومن هو لنعم الله وفضله أهل، ومن هو لذلك غير أهل، وحكمة في تدبيره خلقه(٢).

* تمييز المؤمنين الصادقين عن مدعي الإيمان (كالأعراب): السورة تفرق بين من قال "آمنا" بلسانه فقط وبين من ثبت الإيمان في قلبه. فختم السياق بهذا التذييل لإثبات أن التوفيق للحق منحة إلهية وليست دعوي بشرية. فالتذييل جاء مناسبا لسياق الآية لأنه يربط صفات الراشدين بالهداية الإلهية ويزيل العجب بالإيمان والطاعة. ويثبت أن ما في القلوب من نور هو من فضل الله لا من النفس(٣).

---

(١) روح المعاني(٣٠١/١٣).

(٢) ينظرجامع البيان للطبري (٢٩٠/٢٢).

(٣) ينظرالبحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤٢١/٥).

**خامسا: التذييل ومناسبته لسياق السورة:**

* توكيد أن الهداية من الله: جاء التذييل ليقرر أن ماوصف به المؤمنون من الإيمان واليقين إنما هو فضل ونعمة من الله، لا من ذواتهم، وذلك يربي في القلوب التواضع وشكر المنعم. والله- تعالى- عليم بكل شيء حكيم في كل أفعاله وأقواله وتصرفاته.

وبذلك نرى الآيات الكريمة، قد رسمت للمؤمنين أحكم الطرق في تلقى الأخبار، وأرشدتهم إلى مظاهر فضله عليهم، لكي يستمروا على شكرهم له وطاعتهم لرسله(١).

* بيان امتنان الله علي عباده : بعد ما ذكر سبحانه أن القوم اعتبروا إسلامهم منة علي النبي ﷺ، أعقب ببيان أن المنة لله وحده، فهو الذي هداهم.

والفضل فعل الله تعالى والفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام "وَاللَّهُ عَلِيمٌ" بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل حَكِيمٌ حين يفضل وينعم بالتوفيق على أفاضلهم(٢).

* التناسب مع ختام السورة: السورة من أولها إلي أخرها تدور حول تهذيب الأخلاق، وضبط المعاملات بين المؤمنين، وتعليم الأدب مع الرسول ﷺ، فناسب أن يختم السياق بالتذكير بأن هذا التوفيق كله محض فضل من الله ونعمة(٣).

**ومن خلال هذه التفاسير يتضح** أن الآيات تتحدث عن الصلح بين المؤمنين وضبط التعامل معهم، وفضل من يؤمن ويعمل بالحق. فختمت

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٣٠٧/١٣).
(٢) ينظرالكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣٦٣/٤-٣٦٤).
(٣) ينظرمفاتيح الغيب (١٠٤/٢٨).

بـــ"{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} "للدلالة على أن : علم الله محيط بالقلوب والنيات. وحكمته في ترتيب الفضل والنعمة لمن يستجيب لتلك التوجيهات. {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} ختم مناسب لسياق الإصلاح والتقوي والإيمان، لأن العلم يشمل القلوب والحكمة تظهر عدل الله في الثواب والفضل.

**الموضع الخامس: التذييل في قوله تعالى:**

{وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(الحجرات: ٩).

**أولا: جملة التذييل، ومعناها:**

{وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}(الحجرات: ٩). "قوله: (وَأَقْسِطُوا) أي: اعدلوا في الصلح (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) أي: العادلين"(١).

قال تعالي: "(وَأَقْسِطُوا) اعدلوا في كل الأمور من الإقساط: إزالة القسط وهو الجور، والقاسط: الجائر، كما في آية: { أَمَّا الْقاسِطُونَ فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً} [الجن ٧٢/ ١٥] يقال: أقسط: عدل، وقسط: أخذ حق غيره، والمقسط: العادل (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ )العادلين، أي يحمد فعلهم بحسن الجزاء"(٢).

**ثانيا: المناسبة والمعنى الإجمالي:**

مناسبة الآية: قوله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا... } الآية، مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنّ الله سبحانه لمّا حذر المؤمنين من النبأ الصادر من الفاسق... بيَّن هنا ما ربّما ترتب على خبره من النزاع بن فئتين، وقد يؤول

---

(١) ينظر تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)لمحمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـــ) المحقق: د. مجدي باسلوم الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـــ – ٢٠٠٥ م (٣٣٢/٩).

(٢) التفسيرالمنير للزحيلي (٢٣٥/٢٦).

الأمر إلى الاقتتال، فطلب من المؤمنين أن يزيلوا ما نتج من كلامه، وأن يصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى... فقاتلوا التي تبغي حتى ترجع إلى الصلح بدفعها عن الظلم مباشرةً إن أمكن، أو باستعداء الحاكم عليها، وإن كان الباغي هو الحاكم . . فالواجب على المسلمين دفعه بالنصيحة فما فوقها، بشرط أن لا تثير فتنة أشد من الأولى، ثمّ تيمم الإرشاد، وأبان أنَّ الصلح كما يلزم بين الفئتين يجب بين الأخوين، ثم أمرهم بتقوى الله، ووجوب اتباع حكمه، وعدم الإهمال فيه رجاء أن يرحمهم إذا هم أطاعوه ولم يخالفوا أمره(١).

يقول تعالى ذكره: وإن طائفتان من أهل الإيمان اقتتلوا، فأصلحوا أيها المؤمنون بينهما بالدعاء إلى حكم كتاب الله، والرضا بما فيه لهما وعليهما، وذلك هو الإصلاح بينهما بالعدل {فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى} يقول: فإن أبَت إحدى هاتين الطائفتين الإجابة إلى حكم كتاب الله له، وعليه وتعدّت ما جعل الله عدلا بين خلقه، وأجابت الأخرى منهما {فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي} يقول: فقاتلوا التي تعتدي، وتأبى الإجابة إلى حكم الله {حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ} يقول: حتى ترجع إلى حكم الله الذي حكم في كتابه بين خلقه {فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ} يقول: فإن رجعت الباغية بعد قتالكم إياهم إلى الرضا بحكم الله في كتابه، فأصلحوا بينها وبين الطائفة الأخرى التي قاتلتها بالعدل: يعني بالإنصاف بينهما، وذلك حكم الله في كتابه الذي جعله عدلا بين خلقه(٢).

**ثالثا: من لطائف التذييل :**

تعظيم لخلق العدل ختم الآية بتذييل يربط بين العدل (القسط) ومحبة الله، وفي ذلك تعظيم لمكانة العدل كقيمة محورية في الإسلام، وخاصة في فض النزاعات.

---

(١) حدائق الروح (٣٣٣/٢٧).

(٢) جامع البيان للطبري (٢٩٢/٢٢).

* قال البيضاوي" (وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا) تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فإن كل طائفة جمع. { فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما}بالنصح والدعاء إلى حكم الله تعالى. {فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى} تعدت عليها. {فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللَّهِ} ترجع إلى حكمه أو ما أمر به، وإنما أطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس، والغنيمة لرجوعها من الكفار إلى المسلمين. {فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ} بفصل ما بينهما على ما حكم الله، وتقييد الإصلاح بالعدل هاهنا لأنه مظنة الحيف من حيث إنه بعد المقاتلة. "وَأَقْسِطُوا" واعدلوا في كل الأمور. {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} يحمد فعلهم بحسن الجزاء"(١).

* قال الطاهر بن عاشور: وَجُمْلَةُ "وإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" تَذْيِيلٌ، أَيْ يُحِبُّ كُلَّ مُقْسِطٍ "ثُمَّ أَمَرَ الْمُسْلِمِينَ بِالْعَدْلِ بِقَوْلِهِ: "وَأَقْسِطُوا" أَمْرًا عَامًّا تَذْيِيلًا لِلْأَمْرِ بِالْعَدْلِ الْخَاصِّ فِي الصُّلْحِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، فَشَمِلَ ذَلِكَ هَذَا الْأَمْرَ الْعَامَّ أَنْ يَعْدِلُوا فِي صُورَةِ مَا إِذَا قَاتَلُوا الَّتِي تَبْغِي، ثُمَّ قَالَ: "فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما". وَهَذَا إِصْلَاحٌ ثَانٍ بَعْدَ الْإِصْلَاحِ الْمَأْمُورِ بِهِ ابْتِدَاءً. وَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْفِئَةَ الَّتِي خَضَعَتْ لِلْقُوَّةِ وَأَلْقَتِ السِّلَاحَ تَكُونُ مَكْسُورَةَ الْخَاطِرِ شَاعِرَةً بِانْتِصَارِ الْفِئَةِ الْأُخْرَى عَلَيْهَا فَأَوْجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِتَرْغِيبِهِمَا فِي إِزَالَةِ الْإِحَنِ وَالرُّجُوعِ إِلَى أُخُوَّةِ الْإِسْلَامِ لِئَلَّا يَعُودَ التَّنَكُّرُ بَيْنَهُمَا(٢).

العدل أساس الإصلاح الحقيقي: الإصلاح لا يصح بالتحيز بل ينبني علي القسط والإنصاف لذا جاء التذييل ليؤصل هذه القاعدة.

* وقوله: {فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا} بيان لما يجب على المؤمنين أن يفعلوه مع الفئة الباغية، إذا ما قبلت الصلح ورجعت إلى

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل(٥/١٣٥).
(٢) التحرير والتنوير(٢٦/٢٤٢).

حكم الله- تعالى-. أى: فإن رجعت الفئة الباغية عن بغيها، وقبلت الصلح، وأقلعت عن القتال، فأصلحوا بين الطائفتين إصلاحا متسما بالعدل التام وبالقسط الكامل. وقيد- سبحانه- الإصلاح بالعدل. ثم أكد ذلك بالأمر بالقسط حتى يلتزم الذين يقومون بالصلح بينهما العدالة التي لا يشوبها أى حيف أو جور على إحدى الطائفتين. وقوله: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} تذييل المقصود به حض المؤمنين على التقيد بالعدل في أحكامهم، لأن الله- تعالى- يحب من يفعل ذلك"(١).

* قال الرازي: قال هاهنا: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ} ولم يذكر العدل في قوله {وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا} نقول لأن الإصلاح هناك بإزالة الاقتتال نفسه، وذلك يكون بالنصيحة أو التهديد والزجر والتعذيب، والإصلاح هاهنا بإزالة آثار القتل/ بعد اندفاعه من ضمان المتلفات وهو حكم فقال: بالعدل فكأنه قال: واحكموا بينهما بعد تركهما القتال بالحق وأصلحوا بالعدل مما يكون بينهما، لئلا يؤدي إلى ثوران الفتنة بينهما مرة أخرى الثامن: إذا قال: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ} فأية فائدة في قوله وأقسطوا نقول قوله {فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ} كان فيه تخصيص بحال دون حال فعمم الأمر بقوله "وَأَقْسِطُوا "أي في كل أمر مفض إلى أشرف درجة وأرفع منزلة وهي محبة الله، والإقساط إزالة القسط وهو الجور والقاسط هو الجائر، والتركيب دال على كون الأمر غير مرضي من القسط والقاسط في القلب وهو أيضا غير مرضي ولا معتد به فكذلك القسط(٢).

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى (٣٠٩/١٣).

(٢) مفاتيح الغيب (١٠٦/٢٨).

**رابعا: التذييل ومناسبته لسياق الآية:**

* السياق أمر بالإصلاح : الآية تأمر بالإصلاح بين المؤمنين إذا اقتتلوا، ثم تأمر بالعدل في الإصلاح "وأقسطوا"(١).

* التذييل يحفز علي العدل : فالعدل في هذا الموضع له مكانة عالية لأنه يحفظ جماعة المؤمنين.

* ترغيب في التجرد عند الإصلاح: قديصاب المصلح بالتحيز، فالتذييل يحثه علي الحياد والتجرد لله، فالتذييل يتناسب مع مقصد السورة في بناء مجتمع قائم على الإيمان والأخوة والعدل(٢).

**خامسا: التذييل ومناسبته لسياق السورة:**

* السورة تربي المجتمع المسلم علي الأدب والعدل: بدأت التعامل مع الرسول ﷺ، ثم أداب التعامل مع المؤمنين بعضهم بعضا فجاءت هذه الآية لتعالج الفتن والنزاع الداخلي.

* التذييل يربط بين الإصلاح والعدل : يجب أن يكون الإصلاح قائما علي القسط (العدل) لذا ختمت الآية بهذا التذييل ليؤكد أن الله يحب العدل في هذا السياق تحديدا، وغرس قيمة عليا في النفوس فمحبة الله للمقسطين تشجع علي بذل الجهد في الإصلاح دون تحيز، حتي في المواقف الصعبة. كانت الآيات السابقة دستورا فى الأدب للمسلمين مع النبي، ثم دستورا بين المسلمين وبين أعدائهم الذين يدسّون عليهم الأخبار الكاذبة... وفى هذه الآية وما بعدها دستور من الأخلاق، والأدب والسياسة، فيما بين المسلمين أنفسهم... ومن هنا كانت الدعوة

(١) ينظرمعالم التنزيل (٢٥٩/٤)، وتفسيرالقرآن العظيم (٣٤٩/٧).
(٢) ينظرفتح البيان في مقاصد القرآن (١٣/١٤٠-١٤١).

إلى المصالحة بين الفريقين، وجمعهما على الإخاء والمودة، ونزع ما فى النفوس من سخائم، وغسل ما نجم عن هذا القتال من آثار، ومداواة ما كان منها من جراح(١).

**ومن خلال هذه التفاسير يتضح** أن الآية تتناول حالة قتال بين طائفتين من المؤمنين، وتأمر بالإصلاح بينهما، ثم تؤكد ضرورة العدل والقسط في الإصلاح، لذلك ختم الآية ب {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} جاء ترغيبا قويا في العدل التام أثناء الإصلاح، لا مجرد التسوية أو التهدئة، فالتذييل يدل على أن العدل عبادة محبوبة عند الله، خاصة في وقت التوتروالنزاع، فلم يقل"إن الله يأمر بالقسط"، بل قال "يحب المقسطين"أي أن العدل هنا ليس مجرد واجب، بل من أسباب محبة الله. وهذا أعلى درجات التحفيز لمن يصلح بين الناس، فالتذييل جاء مناسبا للسياق لأنه يربط بين الوظيفة (الإصلاح) والصفة المطلوبة (العدل)، ويبين أن الله لايرضي بأي إصلاح إلا إذا كان مقسطا عادلاً، ويمنح المصلحين تكريما إلهيا: محبة الله.

**الموضع السادس: التذييل في قوله تعالى:**

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الحجرات: ١٠).

**أولا: جملة التذييل، ومعناها:**

"وقوله – عَزَّ وَجَلَّ –: {وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} أي: اتقوا مخالفة أمر اللَّه لكي تقع بكم الرحمة، أو لكي يلزمكم الرحمة"(٢).

قال تعالي: "(وَاتَّقُوا اللَّهَ) في كل أموركم (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) بسبب التقوى، والترجي باعتبار المخاطبين أي راجين أن يرحموا"(٣).

---

(١) ينظرالتفسير القرآني للقرآن (١٣/٤٤٥-٤٤٦).

(٢) تأويلات أهل السنة (٩/٣٣٣).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن(١٣/١٤٢).

**ثانيا: المعنى الإجمالي:**

وقوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} استئناف مقرر لمضمون ما قبله من الأمر بوجوب الإصلاح بين المتخاصمين. أى: إنما المؤمنون إخوة في الدين والعقيدة، فهم يجمعهم أصل واحد وهو الإيمان، كما يجمع الإخوة أصل واحد وهو النسب، وكما ان أخوة النسب داعية إلى التواصل والتراحم والتناصر في جلب الخير، ودفع الشر، فكذلك الأخوة في الدين تدعوكم إلى التعاطف والتصالح، وإلى تقوى الله وخشيته، ومتى تصالحتم واتقيتم الله- تعالى- كنتم أهلا لرحمته ومثوبته(١).

**ثالثا: من لطائف التذييل :**

الرابطة الإيمانية فوق الروابط الأخري: وصفهم بالأخوة جاء مطلقا ليشمل كل المؤمنين مهما اختلفت قبائلهم .

قال البيضاوي: {إِنَّمَاالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ"} من حيث إنهم منتسبون إلى أصل واحد وهو الإيمان الموجب للحياة الأبدية، وهو تعليل وتقرير للأمر بالإصلاح ولذلك كرره مرتباً عليه بالفاء فقال: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} ووضع الظاهر موضع الضمير مضافاً إلى المأمورين للمبالغة في التقرير والتخصيص، وخص الإثنين بالذكر لأنهما أقل من يقع بينهم الشقاق. وقيل المراد قيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج. "وَاتَّقُوا للَّهَ"في مخالفة حكمه والإهمال فيه. "لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" على تقواكم"(٢). قال أبو السعود: "{إِنَّمَا المؤمنون إِخْوَةٌ} استئنافٌ مقرر لما قبله من الأمرِ بالإصلاحِ أيْ أنهم منتسبونَ إلى أصلٍ واحدٍ هُوَ الإيمانُ الموجبُ للحياةِ الأبديةِ والفاءُ في قولهِ تعالَى {فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ} للإيذان بأن الآخرة الدينيةَ موجبةٌ للإصلاح ووضعُ المُظهرِ مقامَ المضمرِ مُضافاً إلى المأمورينَ

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي (٣٠٩/١٣).
(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٣٥/٥-١٣٦).

للمبالغةِ في تأكيدِ وجوبِ الإصلاحِ والتحضيضِ عليهِ وتخصيصُ الاثنينِ بالذكرِ لإثباتِ وجوبِ الإصلاحِ فيَما فوقَ ذلكَ بالطريق الأولويةِ لتضاعفِ الفتنةِ والفسادِ فيهِ وقيلَ المرادُ بالأخوينِ الأوس والخزرج {واتقوا الله} في كلِّ ما تأتون وما تذرون ومن الأمور التي من جملتها ما أُمرتم بهِ منَ الإصلاحِ {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} راجينَ أنْ ترحمُوا عَلى تقواكم"(١). لفظ الأخوة يحمل في طياته عاطفة المودة والرحمة، فيؤثر في القلوب تأثيرا لا تفعله الأوامر الصارمة، فهو استدعاء للعاطفة بجانب التكليف الشرعي، والتوكيد والقصر ب"إنما" تفيد قصر الحقيقة علي مضمونها أي لاحقيقة جامعة للمؤمنين إلا الأخوة الإيمانية وهذا القصر يشعر بعظمة هذه الرابطة وأنها فوق كل رابطة دنيوية. قال الطاهر بن عاشور: "وَجِيءَ بِصِيغَةِ الْقَصْرِ الْمُفِيدَةِ لِحَصْرِ حَالِهِمْ فِي حَالِ الْإِخْوَةِ مُبَالَغَةً فِي تَقْرِيرِ هَذَا الْحُكْمِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ قَصْرٌ ادِّعَائِيٌّ أَوْ هُوَ قَصْرٌ إِضَافِيٌّ لِلرَّدِّ عَلَى أَصْحَابِ الْحَالَةِ الْمَفْرُوضَةِ الَّذِينَ يَبْغُونَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُمْ إِخْوَةٌ مَجَازًا عَلَى وَجْهِ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ زِيَادَةً لِتَقْرِيرِ مَعْنَى الْأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ حَتَّى لَا يَحِقَّ أَنْ يُقْرَنَ بِحَرْفِ التَّشْبِيهِ الْمُشْعِرِ بِضَعْفِ صِفَتِهِمْ عَنْ حَقِيقَةِ الْأُخُوَّةِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا دَلَالَةٌ قَوِيَّةٌ عَلَى تَقَرُّرِ وُجُوبِ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّ شَأْنَ إِنَّمَا أَنْ تَجِيءَ لِخَبَرٍ لَا يَجْهَلُهُ الْمُخَاطَبُ وَلَا يَدْفَعُ صِحَّتَهُ أَوْ لِمَا يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ ذَلِكَ، فَلِذَلِكَ كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" مُفِيدَ أَنَّ مَعْنَى الْأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ مَعْلُومٌ مُقَرَّرٌ. وَقَدْ تَقَرَّرَ ذَلِكَ فِي تَضَاعِيفِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَلَامِ وَالْمُخَاطَبُ بِقَوْلِهِ: "وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" جَمِيعُ الْمُؤْمِنِينَ فَيَشْمَلُ الطَّائِفَتَيْنِ الْبَاغِيَةَ وَالْمَبْغِيَّ عَلَيْهَا، وَيَشْمَلُ

(١) ينظرإرشاد العقل السليم(١٢٠/٨-١٢١)، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤٢٤/٥)، فتح البيان في مقصاد القرآن(١٤١/١٣-١٤٢)، ومحاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)المحقق: محمد باسل عيون السودالناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨هـ (٥٢٩/٨)، روح المعاني للآلوسي (٣٠٣/١٣)، روح البيان (٧٧/٩).

غَيْرَهُمَا مِمَّنْ أمروا بالإصلاح بَيْنَمَا وَمُقَاتَلَةِ الْبَاغِيَةِ، فَتَقْوَى كُلٌّ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ كُلًّا مِمَّا يَخُصُّهُ، وَهَذَا يُشْبِهُ التَّذْيِيلَ. وَمَعْنَى "لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ": تُرْجَى لَكُمُ الرَّحْمَةُ مِنَ اللَّهِ فَتَجْرِي أَحْوَالُكُمْ عَلَى اسْتِقَامَةٍ وَصَلَاحٍ. وَإِنَّمَا اخْتِيرَتِ الرَّحْمَةُ لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالتَّقْوَى وَاقِعٌ إِثْرَ تَقْرِيرِ حَقِيقَةِ الْأُخُوَّةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَشَأْنُ تَعَامُلِ الْإِخْوَةِ الرَّحْمَةُ فَيَكُونُ الْجَزَاءُ عَلَيْهَا مِنْ جِنْسِهَا"(١).

**رابعا: التذييل ومناسبته لسياق الآية:**

* ربط التقوي بالإصلاح: إن كنتم حقا مؤمنين إخوة، فلابد أن يكون بينكم تقوي تؤدي إلي الإصلاح لا الفتنة(٢).

* التذكير برقابة الله: التذييل بقوله "واتقوا الله"يؤكد أن الله مطلع علي دوافع الناس عند الإصلاح، فربما يصلح أحدهم لمصلحة شخصية، أو بتحيز، والتقوي تصحح النية.

* ترغيب في الثواب: قوله تعالي: {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} يبين أن من يعمل بالتقوي في هذا السياق ينال رحمة الله في الدنيا والأخرة، وتأكيد على أن الأخوة لا تكتمل إلا بالتقوي(٣).

**خامسا: التذييل ومناسبته لسياق السورة:**

* تأسيس قاعدة اجتماعية إيمانية : السورة تعالج الأخلاق الجماعية، والتذييل هنا يؤسس لواحدة من أعظمها الأخوة في الله، ويربط الإيمان بالأخلاق العملية ليست الأخوة وصفا بل مترتب عليها واجبات كالإصلاح، والنصح ونبذ الخصام(٤). تدعيم لما قبلها وما بعدها : قبلها

---

(١) التحرير والتنوير(٢٦/٢٤٤-٢٤٥).

(٢) ينظر التفسير المنير للزحيلي (٢٦/٢٢٩).

(٣) ينظرمدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/٣٥٣).

(٤) ينظرالتفسير الوسيط لطنطاوي (١٣/٣٠٩-٣١٠).

الإصلاح بين المتقاتلين وبعدها التحذير من السخرية والتنابز والغيبة وكلها تهدم الأخوة الإيمانية(١).

* اسلوب قصر يؤكد المعني: إنما تفيد القصر أي لا أخوة حقيقية إلا في الإيمان، ولا إيمان صادق بدون أخوة(٢). ومن خلال هذه التفاسير يتضح أن الآية ختمت بالتذكير أن الرحمة من الله مشروطة بالتقوى والإصلاح، لعل تفيد الترجي بالنسبة للسامع، لكنها من الله تحفيز وترغيب، فالرحمة تشمل التوفيق في الإصلاح، ورفع الشحناء، ودخول الجنة، والسلام في الدنيا فالآية تقرر قاعدة ": "إِنَّمَا المؤمنون إِخْوَةٌ "وهذا يفرض عليهم: إزالة الشقاق، تقوية روابط المودة، السعي في الصلح فكان التذييل بـــ"واتقوا الله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"تنبيه أن الإصلاح ليس مسألة اجتماعية فقط، بل عبادة قلبية تثمر الرحمة، من لا يتقي الله في الإصلاح، أو يفرط في الأخوة يعرض نفسه لزوال الرحمة فالتذييل ب" لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"جاء بعد الأمر بالإصلاح والتقوي ليبين أن ثمرة الأخوة الحقيقيةهي الرحمة الإلهية، وأن الرحمة مشروطة بإحياءالأخوة بين المؤمنين قولا وفعلا.

**الموضع السابع: التذييل في قوله تعالى:**

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ } (الحجرات: ١٢).

**أولا: جملة التذييل، ومعناها:**

وقوله (إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) يقول: إن الله راجع لعبده إلى ما يحبه إذا رجع العبد لربه إلى ما يحبه منه، رحيم به بأن لايعاقبه على ذنب أذنبه بعد

(١) ينظر التفسير القرآني للقرآن (٤٧٧/١٣).
(٢) ينظر التحرير والتنوير (٢٤٣/٢٦).

توبته منه[١]. قوله تعالي: {إِنَّ اللَّهَ} سبحانه {تَوَّابٌ} يتوب على من تاب إليه عمَّا فرط منه من الذنب. {رَحِيمٌ} به أن يعذّبه بعد توبته[٢].

**ثانيا: المناسبة والمعنى الإجمالي:**

* مناسبة الآية: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ...} الآية، مناسبتها لما قبلها: أنّ الله سبحانه أدّب عباده المؤمنين بآداب، إن تمسّكوا بها.. دامت المودّة والوئام بينهم، منها: ما تقدم قبل هذا، ومنها: ما ذكره هنا من الأمور العظام، التي تزيد توثيق رباط المجتمع الإِسلامي قوَّةً، وهي:

١- البعد عن سوء الظن بالناس، وتخوينهم في كل ما يقولون ويفعلون؛ لأن بعض ذلك قد يكون إثمًا محضًا، فليجتنب كثير منه، وقد روي عن عمر رضي الله عنه: أنه قال: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا، وأنت تجد لها في الخير محملا.

٢- عدم البحث عن عورات الناس ومعايبهم.

٣- عدم ذكر بعضهم بعضا بما يكرهون في غيبتهم، وقد مثّل الشارع المغتاب بآكل لحم الميتة استفظاعًا له، قال قتادة: كما تكره إن وجدت جيفة ممدودة أن تأكل منها، كذلك فاكره لحم أخيك وهو حيّ[٣].

---

(١) جامع البيان للطبري(٢٢/٣٠٨-٣٠٩).

(٢) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م (٢٧/٣٧٦).

(٣) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (٢٧/٣٣٤).

المعني الاجمالي:

* يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، لا تقربوا كثيرا من الظنّ بالمؤمنين، وذلك إن تظنوا بهم سوءا، فإن الظانّ غير محقّ، وقال جلّ ثناؤه: (اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ) ولم يقل: الظنّ كله، إذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير، فقال: (لَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ) فأذن الله جلّ ثناؤه للمؤمنين أن يظنّ بعضهم ببعض الخير وأن يقولوه، وإن لم يكونوا من قيله فيهم على يقين. وقوله (أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ) يقول تعالى ذكره للمؤمنين أيحبّ أحدكم أيها القوم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ميتا، فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه، لأن الله حرّم ذلك عليكم، فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه في حياته، فاكرهوا غيبته حيا، كما كرهتم لحمه ميتا، فإن الله حرّم غيبته حيا، كما حرم أكل لحمه ميتا. وقوله (وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) يقول تعالى ذكره: فاتقوا الله أيها الناس، فخافوا عقوبته بانتهائكم عما نهاكم عنه من ظنّ أحدكم بأخيه المؤمنظنّ السوء، وتتبع عوراته، والتجسس عما ستر عنه من أمره، واغتيابه بما يكرهه، تريدون به شينه وعيبه، وغير ذلك من الأمور التي نهاكم عنها ربكم (إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) يقول: إن الله راجع لعبده إلى ما يحبه إذا رجع العبد لربه إلى ما يحبه منه، رحيم به بأن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه[١].

**ثالثا: من لطائف التذييل:**

فتح باب التوبة بعد الزجر الآية نهت عن التجسس، الغيبة فجاء التذييل يبشر بأن الله تواب رحيم لمن أقلع عنها وتاب، وتحفيزعلي إصلاح العلاقات،

(١) جامع البيان(٢٢/٣٠٣-٣٠٨).

لأن التجسس والغيبة تفسد القلوب والعلاقات فجاء التذييل ليحث علي التقوي والإصلاح، لا الاستمرار في الإساءة، وإشارة إلي أن من وقع في هذه الذنوب له مخرج .

* قال الرازي: "قال تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ" عطف على ما تقدم من الأوامر والنواهي، / أي اجتنبوا واتقوا، وفي الآية لطائف: منها أن الله تعالى ذكر في هذه الآية أمورا ثلاثة مرتبة بيانها، هو أنه تعالى قال: { اجْتَنِبُوا كَثِيرًا } أي لا تقولوا في حق المؤمنين ما لم تعلموه فيهم بناء على الظن، ثم إذا سئلتم على المظنونات، فلا تقولوا نحن نكشف أمورهم لنستيقنها قبل ذكرها، ثم إن علمتم منها شيئا من غير تجسس، فلا تقولوه ولا تفشوه عنهم ولا تعيبوا، ففي الأول نهى عما لم أن يعلم، ثم نهي عن طلب ذلك العلم، ثم نهي عن ذكر ما علم، ومنها أن الله تعالى لم يقل اجتنبوا تقولوا أمرا على خلاف ما تعلمونه، ولا قال اجتنبوا الشك، بل أول ما نهى عنه هو القول بالظن، وذلك لأن القول على خلاف العلم كذب وافتراء، والقول بالشك، والرجم بالغيب سفه وهزء، وهما في غاية القبح، فلم ينه عنه اكتفاء بقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا }لأن وصفهم بالإيمان يمنعهم من الافتراء والارتياب الذي هو دأب الكافر. وإنما منعهم عما يكثر وجوده في المسلمين، لذلك قال في الآية لا يسخر ومنها أنه ختم الآيتين بذكر التوبة، فقال في الأولى: {وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[الحجرات: ١١] وقال في الأخرى {إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} جملة [الحجرات: ١٢] لكن في الآية الأولى لما كان الابتداء بالنهي في قوله لا يسخر قوم من قوم ذكر النفي الذي هو قريب من النهي، وفي الآية الثانية لما كان الابتداء بالأمر في قوله اجتنبوا ذكر الارتياب الذي هو قريب من الأمر[١].

(١ ) مفاتيح الغيب(٢٨/١١١-١١٢).

* قال البيضاوي: {وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه، والمبالغة في ال تَوَّابٌ لأنه بليغ في قبول التوبة إذيجعل صاحبها كمن لم يذنب، أو لكثرة المتوب عليهم أو لكثرة ذنوبهم(١).

* "{واتقوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} التواب البليغ في قبول التوبة والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فإنكم إن اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين"(٢).

* قال الطاهر بن عاشور: "وَجُمْلَةُ {إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} تَذْيِيلٌ لِلتَّذْيِيلِ لِأَنَّ التَّقْوَى تَكُونُ بِالتَّوْبَةِ بَعْدَ التَّلَبُّسِ بِالْإِثْمِ فَقِيلَ: {إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ} وَتَكُونُ التَّقْوَى ابْتِدَاءً فَيَرْحَمُ اللَّهُ الْمُتَّقِيَ، فَالرَّحِيمُ شَامِلٌ لِلْجَمِيعِ(٣).

* قال تعالي: {وَاتَّقُوا اللَّهَ} بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل وهو عطف على ما تقد من الأوامر والنواهي "إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ" مبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم فصيغة المبالغة باعتبار المتعلقات(٤).

* قال الآلوسي: "وقوله سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} تعليل للأمر أي لأنه تعالى تواب رحيم لمن اتقى واجتنب ما نهي عنه وتاب مما فرط

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١٣٦/٥-١٣٧).

(٢) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م (٣٥٦/٣).

(٣) التحرير والتنوير(٢٥٧/٢٦).

(٤) روح البيان (٨٨/٩)، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٢٢/٨).

منه، وتواب أي مبالغة في قبول التوبة والمبالغة إما باعتبار الكيف إذ يجعل سبحانه التائب كمن لم يذنب أو باعتبار الكم لكثرة المتوب عليهم أو لكثرة ذنوبهم"(١).

* "وقوله {إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ} جملة تعليلية للأمر بالتوبة فأخبر تعالى أنه يقبل توبة التائبين وأنه رحيم بالمؤمنين ومن مظاهر ذلك أنه حرم الغيبة للمؤمن لما يحصل له من بها من ضرروأذى"(٢).

**رابعا: التذييل ومناسبته لسياق الآية:**

* السياق يتحدث عن أداب التعامل الاجتماعي: من النهي عن السخرية، والتنابز، وسوء الظن، والتجسس، والغيبة.

* فجاء التذييل تحفيزا وترغيبا لمن اجتنب تلك المحرمات أن له {مغفرة من الذنوب الماضية وأجرا عظيما جزاء لامتثاله أمر الله في ضبط لسانه وسلوكه(٣).

* التذييل يقابل الوعيد السابق للساخرين والمغتابين : من لم يتب –ظالم– ومن تاب واتقي – له مغفرة وأجر عظيم(٤).

**خامسا: التذييل ومناسبته لسياق السورة:**

* السورة تبني المجتمع المؤمن علي أساس التقوي والاحترام: بدأت بآداب التعامل مع النبي ﷺ، ثم أداب التعامل بين المؤمنين الإصلاح،

---

(١) روح المعاني(١٣/٣١٠).

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبيرلجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبي بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م(٥/١٣١).

(٣) ينظر حدائق الروح والريحان (٢٧/٣٤٨-٣٤٩).

(٤) ينظرأنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/١١٨).

الأخوة، عدم السخرية فجاء النهي عن الظن لأنه يهدم الثقة والأخوة التي أكدت عليها السورة.

* ربط الظن بالإثم يؤسس للرقابة الذاتية: كثير من الناس يتهاونون في الظنون باعتبارها في القلب فجاء التذييل ليقول حتي الظن إذا كان سيئا فهو إثم والله يعلمه(١).

**ومن خلال هذه التفاسيريتضح** أن الآية تنهى عن ذنوب خفية أو باطنية (ظن–تجسس–غيبة) قد لا يشعر بها الإنسان أو يتساهل بها فجاء التذييل بـــ"تَوَّابٌ رَحِيمٌ" ليفتح باب التوبة لمن وقع فيها، و يطمئن أن الله لا يطرد التائبين، بل يقبلهم برحمة، ويشجع على ترك الذنب مع الرجاء لا مع اليأس، ف" تَوَّابٌ رَحِيمٌ" ختم مناسب لسياق النهي عن الغيبة والتجسس وسوء الظن: لأنه يدل على باب مفتوح للتائبين من هذه الذنوب، ويؤكد أن الله يعاملهم بعفو ورحمة، لا فقط بمغفرة جافة.

**الموضع الثامن: التذييل في قوله تعالى:**

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (الحجرات: ١٣).

**أولا: جملة التذييل، ومعناها:**

قال تعالي: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} أي إن الله عليم بكم وبأعمالكم، خبير بباطن أحوالكم، فاجعلوا التقوى زادكم لدى معادكم(٢). قال تعالي: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} أي عليم بكم وبكل شيء، خبير ببواطنكم وأسراركم كجهركم(٣).

---

(١) ينظرتفسير القرآن العظيم(٣٥٢/٧)

(٢) تفسيرالمراغي(١٤٤/٢٦). حدائق الروح والريحان (٣٨٢/٢٧).

(٣) المنير للزحيلي(٢٤٨/٢٦).

**ثانيا: المناسبة والمعنى الإجمالي:**

**مناسبة الآية:** قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ} الآية، مناسبتها لما قبلها: أنّ الله سبحانه لمّا نهى فيما سلف عن السخرية بالناس، والازدراء بهم، وعن اللمز والتنابز بالألقاب ذكر هنا ما يؤكّد النهي، ويؤيّد ذلك المنع، فبين أنّ الناس جميعًا من أب واحد وأمّ واحدة، فكيف يسخر الأخ من أخيه، إلى أنه تعالى جعلهم شعوبًا وقبائل مختلفة ليحصل بينهم التعارف والتعاون في مصالحهم المختلفة، ولا فضل لواحد على آخر إلَّا بالتقوى والصلاح وكمال النفس لا بالأمور الدنيويّة الزائلة(١). قال تعالي: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} والمعنى: خلقناكم- أيها الناس- من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أى: ليعرف بعضكم نسب بعض، فينتسب كل فرد إلى آبائه، ولتتواصلوا فيما بينكم وتتعاونوا على البر والتقوى، لا ليتفاخر بعضكم على بعض بحسبه أو نسبه أو جاهه. وقوله- سبحانه-: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} تعليل لما يدل عليه الكلام من النهى عن التفاخر بالأنساب. أى: إن أرفعكم منزلة عند الله، وأعلاكم عنده- سبحانه- درجة. . هو أكثركم تقوى وخشية منه- تعالى- فإن أردتم الفخر ففاخروا بالتقوى وبالعمل الصالح. {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ} بكل أحوالكم {خَبِيرٌ} بما ترونه وتعلنونه من أقوال وأفعال(٢).

**ثالثا: من لطائف التذييل :**

تأكيد القصد الإلهي من خلق الناس شعوبا وقبائل وهو التعارف لا التفخار، والله وحده يعلم من هو الأتقي، لا البشر.

---

(١) حدائق الروح (٣٣٤/٢٧).

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي(٣١٩/١٣).

* قال الطاهر بن عاشور: "وَجُمْلَةُ "إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" تَذْيِيلٌ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الْأَمْرِ بِتَزْكِيَةِ نَوَايَاهُمْ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ وَمَا يُرِيدُونَ مِنَ التَّقْوَى بِأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي نُفُوسِهِمْ ويحاسبهم عَلَيْهِ"(١).

* قال الرازي : قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" أي عليم بظواهركم، يعلم أنسابكم خبير ببواطنكم لا تخفى عليه أسراركم، فاجعلوا التقوى عملكم وزيدوا في التقوى كما زادكم(٢).

اختيار الاسمين "عليم خبير"عليم يعلم ظاهرأعمال العباد ونياتهم وخبير يعلم بواطنهم وسرائرهم، أي أن الكرم عند الله ليس بالظاهر بل بالتقوي الحقيقية فالتذييل توجيه سلوكي وأخلاقي يرد علي السخرية، الغيبة، التفاخر وكل ذلك ذكر في السورة.

* وقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} – إشارة إلى أن التقوى– ومحلها القلوب– أمر قد يخفى على الناس، فلا يعرفون من التقىّ، ولا مقداره من التقوى. . وإذ كان ذلك شأن الناس، فإن الله سبحانه وتعالى: {عَلِيمٌ خَبِيرٌ} يعلم ما تخفى الضمائر، وما تسرّ الصدور. . وفى هذا إشارة أيضا إلى أن السخرية بالناس ولمزهم وعيبهم، وسوء الظن بهم– قد يكون عن تقدير خاطئ وحساب مغلوط، قائم على حكم الظاهر، على حين تكون القلوب عامرة بالتقوى، مزهرة بالخير.. ولو اطلع هؤلاء اللامزون المتنابزون بالألقاب، على قلوب الناس، لتغيّر رأيهم فيهم.. وإذن فيجب ألا يأخذ الناس بحكم الظاهر، وألا يحكموا على الإنسان من ظاهره وحسب. . وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: {لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ} (١١: الحجرات)(٣).

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦٣/٢٦).
(٢) مفاتيح الغيب (١١٥/٢٨).
(٣) التفسير القرآني للقرآن(٤٥٥/١٣).

* وقوله تعالى: "{إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} جملة تعليلية يبين فيها تعالى أنه عليم بالناس عليم بظواهرهم وبواطنهم وبما يكملهم ويسعدهم خبير بكل شيء في حياتهم فليسلم له التشريع بالتحليل والتحريم والأمر والنهي فإنه على علم بالحال والمآل وبما يسعد الإنسان وبما يشقيه فآمنوا به وأطيعوه تكملوا وتسعدوا(١).

**رابعا: التذييل ومناسبته لسياق الآية:**

* الآية تنهي عن التفاخر بالأحساب والأنساب فختمها ب{إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} ليين أن القيمة الحقيقية عند الله هي بالتقوي لا بالعرف أو النسب، ولتذكير الناس أن الله يعلم حفائق النفوس، فالتقوي ميزان لا يراه الناس دائما(٢).

**خامسا: التذييل ومناسبته لسياق السورة:**

* التذييل في قوله تعالى: " {إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} مناسب لسياق السورة لأنه يرد كل أحكامها وآدابها إلي ميزان رباني عادل: أن الله العليم بالسرائر هو الحكم علي حقيقة الإيمان والتقوي، لا مظاهر البشر ولا تفاخرهم، والسورة تبني المجتمع المؤمن علي الأدب والاحترام والتقوي(٣).

**ومن خلال هذه التفاسيريتضح** أن الآية تنهى ضمنا عن التمييز الطبقي أو العنصري، وتؤكد أن أصل البشر واحد، فالتذييل بقوله" {إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} تأكيد أن الله وحده يعلم من هو الأكرم، يربط الكرامة بالتقوى الحقيقية، لا بالدعاوى أو الظواهر، يناسب السياق الذي يصلح الخلل الاجتماعي في تقييم الناس بحسب

(١) أيسر التفاسير(١٣١/٥).
(٢) ينظرزاد المسير في علم التفسير(١٥٣/٤).
(٣) ينظر جامع البيان(٣١٢/٢٢).

أحسابهم، التذييل مناسب تماما لسياق المساواة بين الناس: ليؤكد أن ميزان التفاضل حقيقي عند الله، وأنه مبني علي العلم التام والاطلاع الكامل لا على ظاهر الناس.

**الموضع التاسع: التذييل في قوله تعالى:**

{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}(الحجرات: ١٤).

**أولا: جملة التذييل، ومعناها:**

وقوله {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} يقول تعالى ذكره: إن الله ذو عفو أيها الأعراب لمن أطاعه، وتاب إليه من سالف ذنوبه، فأطيعوه، وانتهوا إلى أمره ونهيه، يغفر لكم ذنوبكم، رحيم بخلقه التائبين إليه أن يعاقبهم بعد توبتهم من ذنوبهم على ما تابوا منه، فتوبوا إليه يرحمكم(١).

**ثانيا: المناسبة والمعنى الإجمالي:**

قوله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا} مناسبتها لما قبلها: أن الله سبحانه لمّا حثّ الناس على التقوى... وبّخ من في إيمانه ضعف من الأعراب الذين أظهروا الإسلام وقلوبهم وغلة؛ لأنّهم كانوا يريدون المغانم، وعرض الدنيا إذ جاؤوا في سنة مجدبة، وكانوا يقولون لرسوله ﷺ: جئناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان؛ يريدون بذكر ذلك: الصدقة والمنّ على النبيّ ﷺ، فاطلع الله نبيّهﷺ على مكنون ضمائرهم، وأنهم لم يؤمنوا إيماناً حقيقيًّا، وهو الذي وافق القلب فيه اللسان، وأمرهم أن يقولوا: استسلمنا وخضعنا. ثمّ أخبرهم بأنهم إن اتقوا الله حق تقاته... وفّاهم أجورهم كاملة غير منقوصة(٢).

---

(١) جامع البيان (٣١٨/٢٢).

(٢) حدائق الروح والريحان(٣٣٤/٢٧).

قوله تعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا } بعد أن حثّ الناس على التقوى- وبّخ من فى إيمانه ضعف من الأعراب الذين أظهروا الإسلام وقلوبهم وغلة، لأنهم كانوا يريدون المغانم وعرض الدنيا، إذ جاءوا فى سنة مجدبة، وكانوا يقولون لرسوله ﷺ: جئناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، يريدون بذكر ذلك الصدقة والمنّ على النبي ﷺ، فأطلع الله نبيه على مكنون ضمائرهم، وأنهم لم يؤمنوا إيمانا حقيقيا، وهو الذي وافق القلب فيه اللسان، وأمرهم أن يقولوا: استسلمنا وخضعنا، ثم أخبرهم بأنهم إن اتقوا الله حق تقاته وفّاهم أجورهم كاملة غير منقوصة، ثم بين أن من علامة الإيمان الكامل التضحية بالنفس والمال فى سبيل الله ببذلهما فى تقوية دعائم الدين وإعلاء شأنه وخضد شوكة العدو بكل السبل الممكنة، ثم أعقب هذا بأن الله يعلم ما هم عليه من إيمان ضعيف(١).

**ثالثا: من لطائف التذييل :**

* الخاتمة بقوله {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} تشعر بأن الإسلام الظاهري قد يكون بداية خير، والله يرحم من يخلص ويستقيم، وترغيب لهم بالاستمرار في طاعة الله ورسوله، حتي لولم يبلغوا كمال الإيمان بعد يفتح لهم باب الأمل والقبول إذا أحسنوا الاتباع.

* قال الطاهر بن عاشور: قَوْلُهُ: {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} تَذْيِيلٌ، وَجُمْلَةُ {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} تَعْلِيمٌ لَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنْ كَذِبِهِمْ إِذَا تَابُوا، وَتَرْغِيبٌ فِي إِخْلَاصِ الْإِيمَانِ لِأَنَّ الْغَفُورَ كَثِيرُ الْمَغْفِرَةِ شَدِيدُهَا، وَمِنْ فَرْطِ مَغْفِرَتِهِ أَنَّهُ يُجَازِي عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْوَاقِعَةِ فِي حَالَةِ الْكُفْرِ غَيْرَ مُعْتَدٍ بِهَا فَإِذَا آمَنَ عَامِلُهَا جُوزِيَ عَلَيْهَا بِمُجَرَّدِ إِيمَانِهِ وَذَلِكَ مِنْ فَرْطِ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ. وَتَرْتِيبُ رَحِيمٌ بَعْدَ غَفُورٌ لِأَنَّ الرَّحْمَةَ أَصْلٌ لِلْمَغْفِرَةِ وَشَأْنُ الْعِلَّةِ أَنْ تُورَدَ بَعْدَ الْمُعَلَّل بِهَا(٢).

---

(١) تفسير المراغي(١٤٥/٢٦).

(٢) التحرير والتنوير(١٢١/٢)، (٢٦٦/٢٦).

* قوله تعالي: {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} تذييل، أى: وإن تطيعوا الله- تعالى- ورسوله، بأن تخلصوا العبادة، وتتركوا المن والطمع، لا ينقصكم- سبحانه- من أجور أعمالكم شيئا، إن الله- تعالى- واسع المغفرة والرحمة لعباده التائبين توبة صادقة نصوحا"(١).

**رابعا: التذييل ومناسبته لسياق الآية:**

الآية فرقت بين الإسلام الظاهري والإيمان القلبي فجاءالتذييل ليوضح أن من أطاع بصدق، فإن الله يغفر له ما كان من ادعاء أوضعف، ويرحمه في المستقبل، وتذكيربأن باب القبول مفتوح بشرط الطاعةالصادقة. وقوله {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} يقول تعالى ذكره: إن الله ذو عفو أيها الأعراب لمن أطاعه، وتاب إليه من سالف ذنوبه، فأطيعوه، وانتهوا إلى أمره ونهيه، يغفر لكم ذنوبكم، رحيم بخلقه التائبين إليه أن يعاقبهم بعد توبتهم من ذنوبهم على ما تابوا منه، فتوبوا إليه يرحمكم(٢).

**خامسا: التذييل ومناسبته لسياق السورة:**

السورة تعالج : ضبط الظاهر: في التعامل مع النبي ﷺ ومع المؤمنين، ثم تنتقل إلي تصحيح الباطن بالنهي عن الرياء والادعاء، فالتذييل ينسجم مع غرض السورة، وتزكية النفس ظاهرا وباطنا، وإظهار أن الله لايعامل الناس بالظاهر فقط، بل يعلم القلوب، لكنه غفور رحيم لمن صدق وأطاع. ثم أكد الله تعالى علمه بكل شيء بقوله: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ} أي إن الله تعالى عليم بما ظهر وما غاب في جميع أنحاء السماوات والأرض، ومن جملة ذلك: ما يسّره كل إنسان في نفسه، والله مطلع على كل شيء من أعمالكم، فهو مجازيكم بالخير خيرا، وبالشر

(١) التفسير الوسيط (٣٥٣/١)، (٣٢٢/١٣)

(٢) ينظرجامع البيان(٣١٨/٢٢).

شرا، وهذه الآية تؤكد الإخبار بعلم الله بجميع الكائنات، وبصره بأعمال المخلوقات، ليترسخ ذلك في الأذهان ويستقر في أصائل القلوب(١).

**ومن خلال هذه التفاسيريتضح** أن الآية تصحح ادعاءالأعراب للإيمان، وتكشف أنهم لم يبلغوا الإيمان الحقيقي، بل مجرد إسلام ظاهري ومع أن ذلك تصحيح حاسم إلا أن التذييل جاء برحمة ولطف، فالتذييل بقوله تعالي: " إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "مناسبا تماما لأنه يوازن بين تصحيح المفهوم وفتح باب الأمل، ويربط الطاعة بالغفران، ويجعل تحقيق الإيمان ممكنا بالتدرج.

**الموضع العاشر: التذييل في قوله تعالى:**

{قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(الحجرات: ١٦).

**أولا: جملة التذييل، ومعناها:**

قال تعالي: {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} أي: يعلم ما في قلوبكم من التصديق وغيره(٢).

قال تعالي: {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍعَلِيمٌ} أي: مبالغ في العلم بجميع الأشياء، التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند إظهارهم الإيمان(٣).

قال تعالي: {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍعَلِيمٌ} لا يخفى عليه من ذلك خافية، وقد علم ما تبطنونه من الكفر، وتظهرونه من الإسلام لخوف الضر، أو رجاء النفع(٤).

---

(١) ينظر التفسير الوسيط للزحيلي لد وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر – دمشق الطبعة : الأولى – ١٤٢٢ هـ(٢٤٨٢/٣).

(٢) بحر العلوم(٣٣٠/٣).

(٣) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد(٤٤٠/٥).

(٤) فتحُ البيان في مقاصد القرآن(١٥٦/١٣).

**ثانيا: المعنى الإجمالي:**

قوله تعالى: {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم} (الحجرات: ١٦). يقول تعالى ذكره لنبيه محمدﷺ (قُلْ) يا محمد لهؤلاء الأعراب القائلين آمنا ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبهم: (أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ) أيها القوم بدينكم، يعني بطاعتكم ربكم {وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} يقول: والله الذي تعلِّمونه أنكم مؤمنون، علام جميع ما في السموات السبع والأرضين السبع، لا يخفى عليه منه شيء، فكيف تعلمونه بدينكم، والذي أنتم عليه من الإيمان، وهو لا يخفى عليه خافية، في سماء ولا أرض، فيخفى عليه ما أنتم عليه من الدين {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} يقول: والله بكلّ ما كان، وما هو كائن، وبما يكون ذو علم. وإنما هذا تقدّم من الله إلى هؤلاء الأعراب بالنهي، عن أن يكذّبوا ويقولوا غير الذي هم عليه في دينهم. يقول: الله محيط بكلّ شيء عالم به، فاحذروا أن تقولوا خلاف ما يعلم من ضمائر صدوركم، فينالكم عقوبته، فإنه لا يخفى عليه شيء(١).

**ثالثا: من لطائف التذييل :**

شمول علم الله فختم الآية بقوله تعالي {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} للتأكيد على الإحاطة الكاملة، العامة والخاصة، بالظاهر والباطن، ورد على ادعاء الأعراب للإيمان ويثبت أن الله يعلم حقيقة الإيمان في القلوب، وتذكير بأن الله لا يحتاج إلي إعلام أو شرح أو ادعاء فهو "عليم "لا يخدع بالظاهر.

* قال البيضاوي: {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ} أتخبرونه به بقولكم آمَنَّا. {وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} لا يخفى عليه خافية، وهو تجهيل لهم وتوبيخ"(٢).

---

(١) جامع البيان للطبري(٣١٩/٢٢).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل(١٣٨/٥).

*قال أبو السعود: "وقولُه تعالَى {والله بِكُلّ شَيْء عَلِيمٌ} تذييلٌ مقررٌ لمَا قبلَهُ أيْ مبالِغٌ في العلمِ بجميعِ الأشياءِ التي من جملتها ما أخفَوهُ من الكفرِ عندَ إظهارِهم الإيمانَ وفيهِ مزيدُ تجهيلٍ وتوبيخٍ لهم"(١).

*قال الطاهر بن عاشور: "وَجُمْلَةُ {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} تَذْيِيلٌ لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ أَعَمُّ مِنْ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ صِفَاتِهِ وَيَعْلَمُ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَات كالعرش(٢).

*وقوله: {أَتُعَلِّمُونَ}من الإعلام بمعنى الإخبار، فلذا تعدى بالتضعيف لواحد بنفسه، وإلى الثاني بحرف الجر. أى: قل- أيها الرسول الكريم- لهؤلاء الأعراب على سبيل التوبيخ: أتخبرون الله- تعالى- بما أنتم عليه من دين وتصديق حيث قلتم آمنا، على سبيل التفاخر والتباهي. . والحال أن الله- تعالى- يعلم ما في السماوات وما في الأرض دون أن يخفى عليه شيء من أحوال المخلوقات الكائنة فيهما. وقوله- سبحانه-: {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}مقرر لما قبله ومؤكد له"(٣).

*قال الآلوسي: {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} تذييل مقرر لما قبله أي مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما أخفوه من الكفر عند إظهارهم الإيمان"(٤).

*قوله تعالي: {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}لا يحتاج الى اخباركم تذييل مقرر لما قبله اى مبالغ في العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ما اخفوه من

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم(١٢٤/٨).
(٢ )التحرير والتنوير(٢٦٩/٢٦).
(٣ )التفسير الوسيط لطنطاوي(٣٢٣/١٣).
(٤ )روح المعاني(٣١٩/١٣).

الكفر عند اظهارهم الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم حيث كانوا يحتهدون في ستر أحوالهم واخفائها"[١].

**رابعا: التذييل ومناسبته لسياق الآية:**

الآية تتحدث عن ادعاء الأعراب الإيمان وهم لم يخلصوا بعد فختمت بأن الله لا يعلم، ولا يخدع، ولا يخفي عليه باطن أحد، التذييل يقيم الحجة علي المدعيين بأن الله يعلم صدق الدين من كذبه. (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يقول: والله بكلّ ما كان، وما هو كائن، وبما يكون ذو علم. وإنما هذا تقدّم من الله إلى هؤلاء الأعراب بالنهي، عن أن يكذّبوا ويقولوا غير الذي هم عليه في دينهم. يقول: الله محيط بكلّ شيء عالم به، فاحذروا أن تقولوا خلاف ما يعلم من ضمائر صدوركم، فينالكم عقوبته، فإنه لا يخفى عليه شيء[٢].

**خامسا: التذييل ومناسبته لسياق السورة:**

سورة الحجرات تربي علي الإخلاص والتقوي، وتصحح العلاقة بين الإنسان وربه، وجاء هذا التذييل مكملا لمبدأ" [إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ] (الحجرات: ١٣). ومنسجما مع الآيات التي تكشف الفرق بين الإيمان الظاهري والحقيقي، لتذكير المنافق أو المدعي بأن الله لا ينظر إلي الأقوال بل إلي القلوب. (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) **لا يخفى عليه من ذلك خافية، وقد علم ما تبطنونه من الكفر، وتظهرونه من الإسلام لخوف الضر، أو رجاء النفع**[٣].

**ومن خلال هذه التفاسيريتضح** أن الآية ختمت بتذييل جامع يدل على أن علم الله محيط بجميع الأمور، فلايخفى عليه صدق الإيمان أو نفاقه، ولا دوافع

(١) روح البيان(٩٦/٩).
(٢) ينظرجامع البيان(٣١٩/٢٢).
(٣) ينظرفتح البيان في مقاصد القرآن (١٥٦/١٣).

الادعاء، والرد على الادعاء الضمني، الأعراب زعموا الإيمان، فكأنهم "يعلمون" الله بما في قلوبهم، فجاء التذييل ليؤكد أن الله أعلم بما يدين به العبادمن غيرهم، وفي الآية شدة التوبيخ بلطف بدلا من القول المباشر "أنتم كاذبون"، جاء التذييل ليبين أن علم الله يغني عن ادعائهم، دون تصريح قاسٍ، وهذا من بلاغة القرآن. فجاءت الآية مناسبة للسياق في الرد على الأعراب الذين ادعوا الإيمان، فجاء التذييل ليوضح أن الله لا يخبر بالدين، بل هو الذي يعلم صدق الإيمان من ادعائه، وتؤكد أن الإيمان الحقيقي لا يحتاج إعلانا ريائيا، لأنه ظاهر عند الله بعلمه المحيط، فهو ختام مناسب يظهر علم الله التام بالنيات، والدين، والسرائر.

**الموضع الحادي عشر: التذييل في قوله تعالى:**

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (الحجرات: ١٨).

**أولا: جملة التذييل، ومعناها:**

قال تعالي: {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ} أي بجوارحكم الظاهرة والباطنة والله سبحانه وتعالى أعلم(١).

قال تعالي: {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} يحصي عليكم أعمالكم، ويوفيكم إياها، ويجازيكم عليها بما تقتضيه رحمته الواسعة، وحكمته البالغة(٢).

**ثانيا: المعنى الإجمالي:**

"قوله تعالى: "{إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل (١٨٥/٤).
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٨٠٢/١).

يقول تعالى ذكره: إن الله أيها الأعراب لا يخفى عليه الصادق منكم من الكاذب، ومن الداخل منكم في ملة الإسلام رغبة فيه، ومن الداخل فيه رهبة من رسولنا محمد ﷺ وجنده، فلا تعلمونا دينكم وضمائر صدوركم، فإن الله يعلم ما تكنه ضمائر صدوركم، وتحدّثون به أنفسكم، ويعلم ما غاب عنكم، فاستسرّ في خبايا السماوات والأرض، لا يخفى عليه شيء من ذلك (وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) يقول: والله ذو بصر بأعمالكم التي تعملونها، أجهرا تعملون أم سرّا، طاعة تعملون أو معصية؟ وهو مجازيكم على جميع ذلك، إن خيرا فخير، وان شرّا فشرّ وكُفُؤه"(١).

**ثالثا: من لطائف التذييل :**

تأكيد شمول علم الله: استخدام لفظ: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} ليشمل مالا يدركه البشر من أسرار وأعمال ونيات، وإضافة "بصير" لتقوية المحاسبة، بصير تدل على علم تطبيقي يتبعه الجزاء لا مجرد الإحاطة النظرية، والتوازن بين الغيب والشهادة "يَعْلَمُ غَيْبَ"يشمل القلوب والسرائر، "بِمَا تَعْمَلُونَ"يشمل الأقوال والأفعال.

* قال الرازي: "قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (الحجرات: ١٨)إشارة إلى أنه لا يخفى عليه أسراركم، وأعمال قلوبكم الخفية، وقال: {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} يبصر أعمال جوارحكم الظاهرة، وآخر السورة مع التئامه بما قبله فيه تقرير ما في أول السورة، وهو قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(الحجرات: ١). [الحجرات: ١] فإنه لا يخفى عليه سر، فلا تتركوا خوفه في السر ولا يخفى عليه علن فلا تأمنوه في العلانية"(٢).

---

(١) جامع البيان للطبري| (٣٢١/٢٢).

(٢) مفاتيح الغيب(١١٨/٢٨).

* قال تعالى: "{إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ} – هو تعقيب على قوله تعالى: «إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ»، وجواب على ما قد يتردد فى أنفسهم من تساؤلات، مثل أن يقولوا: ومن يعلم إن كنا صادقين أو كاذبين، إذا كان مرجع الإيمان إلى ما استقر منه فى القلوب؟ ومن يكشف ما فى قلوبنا من هذا الإيمان؟... فكان الجواب. إن الله يعلم غيب السموات والأرض، لا غيب القلوب وحدها، وهو البصير الذي يرى ما يعمل العاملون، مما هو مستقيم على طريق الإيمان، أو مائل عنه، فيجزى كلّا بما عمل"...(١).

* قال الطاهر بن عاشور: "قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ} ذُيِّلَ تَقْوِيمُهُمْ عَلَى الْحَقِّ بِهَذَا التَّذْيِيلِ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَكْتُمُ، وَأَنَّهُ لَا يَكْذِبُ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا تَخْطُرُ بِبَالِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ أُصُولُ الصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ. وَرُبَّمَا عَلِمَهَا بَعْضُهُمْ وَتَأْكِيدُ الْخَبَرِ بِأَنْ لِأَنَّهُمْ بِحَالِ مَنْ يُنْكِرُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ فَكَذَبُوا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عِلْمِهِمْ أَنَّهُ مُرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ فَكَانَ كَذِبُهُمْ عَلَيْهِ مِثْلَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ. وَقَدْ أَفَادَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ تَأْكِيدَ مَضْمُونِ جُمْلَتَيْ "وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" [الحجرات: ١٦] وَلَكِنَّ هَذِهِ زَادَتْ بِالتَّصْرِيحِ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ الْأُمُورَ الْغَائِبَةَ لِئَلَّا يَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أَنَّ الْعُمُومَيْنِ فِي الْجُمْلَتَيْنِ قَبْلَهَا عُمُومَانِ عُرْفِيَّانِ قِيَاسًا عَلَى عِلْمِ الْبَشَرِ. وَجُمْلَةُ "وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ" مَعْطُوفٌ عَلَى جُمْلَةِ" إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ" عَطْفُ الْأَخَصِّ عَلَى الْأَعَمِّ لِأَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْغَيْبَ وَكَانَ شَأْنَ الْغَائِبِ أَنْ لَا يُرَى عَطَفَ عَلَيْهِ عِلْمَهُ بِالْمُبْصَرَاتِ احْتِرَاسًا مِنْ أَنْ

(١) التفسير القرآني للقرآن(١٣/٤٦١).

يَتَوَهَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ خَفَايَا النُّفُوسِ وَمَا يَجُولُ فِي الْخَوَاطِرِ وَلَا يَعْلَمُ الْمُشَاهَدَاتِ نَظِيرَ قَوْلِ كَثِيرٍ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ: إِنَّ الْخَالِقَ يَعْلَمُ الْكُلِّيَّاتِ وَلَا يَعْلَمُ الْجُزْئِيَّاتِ، وَلِهَذَا أُوثِرَ هُنَا وَصْفُ بَصِيرٍ"[١].

* "ثم أكد اللَّه تعالى علمه بكل شيء، فقال: "إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ" أي إن اللَّه عليم بما ظهر وما غاب في جميع أنحاء السموات والأرض، ومن جملة ذلك: ما يسّره كل إنسان في نفسه، واللَّه مطّلع على كل شيء من أعمالكم، فهو مجازيكم بالخير خيرا، وبالشر شرا. والآية تكرار وتأكيد الإخبار بعلم اللَّه بجميع الكائنات، وبصره بأعمال المخلوقات، ليترسخ ذلك في الأذهان، ويستقر في أعماق القلوب، ويتمثل دائما في النفوس"[٢].

* قال الآلوسي: "وتمام الحسن في التذييل بقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ" أي ما غاب فيهما "وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ" أي في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه سبحانه ما في ضمائركم، وذلك ليدل على كذبهم وعلى اطلاعه عز وجل خواص عباده من النبي ﷺ وأتباعه رضي الله تعالى عنهم[٣].

* قال تعالي: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ} اى ما غاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ} فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم[٤].

---

(١) التحرير والتنوير(٢٦/٢٧١).
(٢) التفسير المنير (٢٦/٢٧٢).
(٣) روح المعاني(١٣/٣٢٠).
(٤) روح البيان(٩/٩٧).

**رابعا: التذييل ومناسبته لسياق الآية:**

جاءت الآية بعد ذكر الأعراب الذين ادعوا الإيمان ومنوا علي الله بإسلامهم فختمت بأن الله يعلم خفاياهم {غَيْبَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ}، ويراقب أفعالهم {وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ} أي لا يخفي عليه صدقكم أو نفاقكم. قال تعالي: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السماوات والأرض} أي: يعلم ما غاب فيها لا يخفى عليه [شيء]، فهو يعلم الصادق منكم من الكاذب في دعواه، فلا يخفى عليه ما تكنه صدوركم(١).

**خامسا: التذييل ومناسبته لسياق السورة:**

سورة الحجرات قائمة علي الأدب مع النبي ﷺ، والإخلاص، وعدم الرياء فجاء التذييل في الختام ليؤكد أن الله لا تغيب عنه القلوب ولا الجوارح وهو الرقيب في كل ما نُخفي ونظهر، ويؤكد أن صلاح الظاهر لا يكفي مالم يصح الباطن، لأن الله بصير بما يعمل العباد. أي إن الله يعلم ما غاب فيهما، وهو بصير بسركم وعلانيتكم، لا يخفى عليه ما فى ضمائركم. وفى ذلك رمز إلى أنهم كاذبون فى إيمانهم، وإعلان للنبى ﷺ وأتباعه من المؤمنين بما فى أنفسهم(٢).

**ومن خلال هذه التفاسير يتضح** أن الآية تأتي في ختام الحديث عن الأعراب الذين ادعوا الإيمان، نفي إيمانهم الحقيقي، تصحيح مفاهيم الطاعة والإسلام، فجاء التذييل ليؤكد أن الله وحده يعلم الصادق من الكاذب، لا يخفي عليه ظاهر الطاعة ولا باطن النية فهو عالم بسرائرهم وبصير بأعمالهم، فلا يُخدع بمظاهرأوأقوال. فالتذييل بقوله تعالي: {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ

(١) ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، لأبي محمد مكي بن أبي طالب (٧٠٢١/١١).

(٢) ينظر تفسير المراغي (١٤٩/٢٦).

وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ} ختام محكم لسورة تعالج السلوك، والنية، والإيمان الحقيقي، ويربط بين العلم بالباطن والبصر بالظاهر، فيسكت كل ادعاء، ومناسب لسياق الرد على من يزعم مالا يملكه من إيمان، فهو تذييل جامع مناسب لخاتمة السورة يربط علم الغيب بالأعمال، ليشمل الإيمان والظاهر معاً.

## الخاتمــة

وفي ختام هذا البحث يتضح لنا جليًا أن سورة الحجرات ختمت معظم آياتها بتذييلات، جاءت بعناية لتناسب السياق التربوي والأخلاقي لكل توجيه فالتذييل في هذه السورة ليس مجرد ختم بلاغي، بل هو توجيه إيماني يعزز المعنى، ويضبط السلوك، ويربط العمل برضا الله نجد "سميع عليم" "تواب رحيم""عليم خبير" "غفور رحيم""بصير بما تعملون" وكلها تؤكد أن الله يعلم السر والعلن، ويراقب الأقوال والأفعال، ويجازي بالتقوي لا بالدعاوي، فختم الآيات بهذه الأسماء والصفات يزرع الرقابة الإلهية في النفوس ويفتح باب التوبة والرحمة ويربط بين الإيمان الصحيح والسلوك العملي، ويوجه الإنسان إلي أن ميزان التفاضل عند الله هو التقوي فقط.

نسأل الله أن يجعلنا من المتدبرين لآياته، العاملين بهديه، المستضئين بنور كتابه العظيم.

**النتائج والتوصيات:**

في صحبة هذه السورة العظيمة، يمكن استخلاص عدد من النتائج والتوصيات أو الدروس من السورة **ومنها:**

**أولا النتائج:**

١- يعد أسلوب التذييل من الأساليب البلاغية في فهم معاني القرآن، وسمة فريدة من سمات القرآن الكريم، ووجه من وجوه إعجازه.

٢- بين المعني اللغوي والاصطلاحي للتذييل صلة قوية.

٣- اعتني بهذا الأسلوب البلاغي كثير من المفسرين منهم أبو السعود، والآلوسي، وابن عاشور.

٤- تناسب التذييل مع الكلام المذيل تناسبا راقيا يجعل السابق يمهد للاحق، واللاحق يؤكد علي السابق في تناغم واتساق.

٥- التذييلات تعكس مقاصد السورة : تهذيب السلوك، تصحيح المفاهيم وتقوية الرقابة الإيمانية .

٦- اختتمت السورة بالتذييل الجامع "والله بصيربما تعملون"ليشمل ظاهرالإنسان وباطنه.

٧- السورة كلها تربية متكاملة : تبدأ بنداءات للمؤمنين وتنتهي بعلم الله الشامل، مما يجعل التذييل عنصرا أساسيا في بناء الشخصية الإسلامية المتزنة.

**ثانيا: التوصيات:**

١- التركيز علي دراسة التذييل عند تدبر القرآن، لأنه يكشف عن دقة المعاني وارتباط الصفات الإلهية بالسلوك البشري.

٢- ضرورة ربط صفات الله بواقع الإنسان اليومي، لتفعيل أثر القرآن في التربية والسلوك.

٣- يوصي بتوسيع دراسة التذييل في سور أخري، لفهم البلاغة القرآنية في توجيه النفوس. .

٤- دعوة المعلمين والوعاظ إلي بيان أثر التذييلات في ترسيخ العقيدة والرقابة الذاتية لدي المتلقين. .

٥- إعطاء هذا الفن من البلاغة القرآنية التذييل مساحة أكبر من الدراسة لما له أهمية كبيرة في إبراز وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم وهو الإعجاز البياني.

## فهرس المصادر والمراجع


- أصول الفقه لمحمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبي عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)حققه وعلق عليه وقدم له: الدكتور فهد بن محمد السَّدَحَان الناشر: مكتبة العبيكان الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- إعجاز القرآن للباقلاني لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقرالناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.
- إعراب القرآن الكريم لأحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم الناشر: دار المنير ودار الفارابي – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ.
- إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.
- إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ) الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، ( دار ابن كثير - دمشق - بيروت)الطبعة : الرابعة، ١٤١٥ هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبي بكر الجزائري الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الطبعة: الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- الإيضاح في علوم البلاغةلمحمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبي المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ) المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي الناشر: دار الجيل – بيروت الطبعة: الثالثة.
- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي المتوفى: ٣٧٣هـ.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ) المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرةالطبعة: ١٤١٩ هـ.
- البرهان في علوم القرآن لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيزلمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) المحقق: محمد علي النجارالناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغةلعبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ) الناشر: مكتبة الآداب الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت.
- تفسير القرآن لأبي المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ) المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم الناشر: دار الوطن، الرياض - السعوديةالطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ) الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) لمحمد بن محمد بن محمود، أبي منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ) المحقق: د. مجدي باسلوم

الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

- تفسير المراغي لأحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ) الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لد وهبة بن مصطفى الزحيلي الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ.
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي– الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرةالطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- روح البيان لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبي الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) الناشر: دار الفكر - بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبيرلشمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ) الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية) - القاهرةعام النشر: ١٢٨٥ هـ.
- الصحاح: لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين - بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)

عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

- فتح القدير: لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
- القاموس المحيط لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان– الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: تصحيح محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.
- لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ) المحقق: تصحيح محمد علي شاهين الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.

- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنانة الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
- لسان العرب مادة لمحمد بن مكرم بن على، لأبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ.
- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) المحقق: محمد باسل عيون السودالناشر: دار الكتب العلميه – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.
- مسندالإمام أحمد لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرونإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالةالطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي محيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- معجم مقاييس اللغةلأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكرعام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري

(المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم لمحمد بن عبد الله دراز (المتوفى : ١٣٧٧هـ) اعتنى به : أحمد مصطفى فضليةقدم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني الناشر : دار القلم للنشر والتوزيع الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- النكت في إعجاز القرآن لعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبي الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ) المحقق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف بمصرالطبعة: الثالثة، ١٩٧٦م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه لأبي محمد مكي بن أبي طالب (المتوفى: ٤٣٧هـ) المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

## References


- *Usul Al-Fiqh*, Muhammad bin Mufleh bin Muhammad bin Mufarrej, Abu Abd Allah, Publisher: Al-Obaykan Bookshop, First Edition, 1420AH - 1999AD.
- *Ijaz Al-Quran* , Al- Baqalani, Abu Bakr Al-Baqalani, Muhammad bin AtTayeb, Dar Al-Maarif, Egypt, 5th Edition, 1997.
- *Iraab Quran* , Ahmed Obaid Ad-Daas - Ahmed Mohammed Humaidan - Ismail Mahmoud Al-Qasim Publisher: Dar Al-Munir and Dar Al-Farabi – Damascus First Edition, 1425AH.
- *Iraab Al-Quran*, Abu Jaafar Al-Nahhas, Ahmad bin Muhammad bin Al-Nasher, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st Edition, 1421AH.
- *Iraab Al-Quran wa Bayanah* ,Muḥ yi Ad-Din Ibn Aḥ mad Mustafa Darwish , Publisher : Dar Ibn Kathir for University Affairs - Homs - Syria , ( Dar Ibn Kathīr - Damascus - Beirut) Fourth Edition, 1415AH.

# فهرس الموضوعات


| م | الموضوعات |
|---|---|
| ١ | المقدمة |
| ٢ | خطة البحث |
| ٣ | منهج البحث |
| ٤ | الفصل الأول: مفهوم التذييل وأهمية دراسته في القرآن الكريم |
| ٥ | المبحث الأول: تعريف التذييل لغة واصطلاحا |
| ٦ | المبحث الثاني: أقسامه وأغراضه |
| ٧ | المبحث الثالث: الفرق بين التذييل والفاصلة |
| ٨ | المبحث الرابع: مظاهر اعتناء المفسرين بالتذييل في كتب التفسير |
| ٩ | الفصل الثاني: التذييل في سورة الحجرات |
| ١٠ | المبحث الأول: بين يدي سورة الحجرات |
| ١١ | المطلب الأول: تسميتها |
| ١٢ | المطلب الثاني: عدد آياتها وكلماتها وحروفها |
| ١٣ | المطلب الرابع: مناسبة السورة لما قبلها |
| ١٤ | المطلب الخامس: أغراض ومقاصد السورة الكريمة |
| ١٦ | المبحث الثاني: لطائف التذييل في السورة الكريمة |
| ١٧ | الخاتمة |
| ١٨ | فهرس المصادر والمراجع |
| ١٩ | فهرس الموضوعات |